مجلة العلوم العربية والإنسانية
جامعة *القصيم*، المجلد (11)، العدد (2)، ص ص 683-758، (ربيع ثاني 1439هـ/ ديسمبر 2017)

حجاجيّة المناظرات الأدبيّة
(المناظرة بين السّيف والقلم) لابن نباتة المصريّ أنموذجا "مقاربة أسلوبية"

د. عبدالرحمن بن أحمد السّبت
الأستاذ المشارك في قسم اللغة العربية بكلية التربية بالمجمعة، جامعة المجمعة

ملخّص البحث. يعدّ الحجاج من أهمّ النظريات التي أخذت حيّزا كبيراً في الدّراسات التداولية والأسلوبية في العصر الحديث، وقد جاءت البدايات من خلال بعض الدّراسات القديمة في الأدبيْن الغربي والعربي، إلّا أنّ تأصيل هذه النظرية تجلّى في العصر الحديث.

وقد اشتملت هذه الدّراسة على جزءين: جزء نظري، وآخر تطبيقيّ، وذلك بدراسة الحجاج من خلال المناظرات، وقد كانت مناظرة السّيف والقلم لابن نباتة المصريّ (686هـ- 768هـ) الأنموذج المختار للدراسة.

وقد تحدّثت عن الحجاج من خلال مفهوم المصطلح وتطوّره في الأدب الغربي، وكذلك في التّراث العربي الإسلامي، وأبرز الأعلام التي كان لها أثرٌ في هذا التطوّر في كلا الأدبين، وكذلك إضاءة عن فنّ المناظرة من حيثُ مفهومُها، وأنواعُها، وأركانُها، وشروطُها، وحجاجيتُها.

كما أبانت الدّراسة الحديث عن المدوّنة، وهي: المناظرة بين السيف والقلم لابن نباتة المصريّ وركّزت على عنوان المناظرة بصفته منطلقا حجاجيا، ثم جوّدت النّظر في الإستراتيجيات الحجاجية في المناظرة الأدبية، وقد جعلتها في صنفين كبيرين:

الأوّل: الحجاج المتّصل بالمضمون من خلال حجاجيّة الشّاهد الدّيني: القرآن الكريم، والحديث الشّريف، والشّاهد الأدبي، والمثل، وحجاجيّة القيمة.

والآخر: الحجاج المتّصل بالشّكل من خلال الإستراتيجيات البلاغيّة المتمثّلة في حجاجيّة الصّورة، والتضادّ، والجناس، والسّجع، والإستراتيجيات الأسلوبيّة ابتداءً بحجاجية التّكرار، والاستفهام، والتّعجب، والنّفي، والقسم، والنّداء، والتّضعيف، والقصر، والضّمائر، والحوار، والتّوكيد، والرّبط، وانتهاءً بالإستراتيجيات المعتمدة على بنية التناقض والتّهكم والمفارقة.

ثم كان الحديث عن غاية الحجاج، والمآل الذي انتهت إليه المناظرة بين السّيف والقلم.

مقدِّمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على الرّسول الأمين، الذي دعا قومه وحاجّهم بالتي هي أحسن صلوات ربّي وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه الطّيبين الطّاهرين، وبعد:

فإنَّ هذه الدّراسة تسعى إلى البحث في نظريّة الحجاج، والوقوف على أبرز المفاهيم والأفكار التي تقوم عليها من خلال تطبيقها على المناظرة بين السّيف والقلم لابن نباتة المصريّ، قصْد إبراز الإستراتيجيات الإقناعيّة، والآليات الحجاجية الكامنة في فنِّ المناظرات الأدبيّة.

ويحاول الباحث الوقوف على تقنية الحجاج في المناظرة من خلال مقاربة أسلوبيّة، إذْ نجد الخطاب الحجاجي يخضع لقواعد شروط القول والتلقي، وتبرز فيه مكانة القصدية والتأثير والفعالية[1]، ومن المعروف أنَّ الغرض من الخطاب الحجاجي هو الإقناع والتواصل والتخاطب بين الناس[2]، ولذا فإنَّ الحجاج ظاهرة جدلية أسلوبية، تهدف إلى إقناع الآخرين، والتأثير فيهم[3]، فالحجاج مندرج في جدل التفاعل التلفّظي الذي يجريه المحاجّ مع نظيره الواقعي أو الافتراضي[4]، ذلك أنَّ الأسلوبية تدرس الملفوظات مع الأخذ بعين الاعتبار سياقها، وهي تكوّن

(1) انظر: حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي"عناصر استقصاء نظري"، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته، مجموعة باحثين، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، دار الروافد الثقافية، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 2013م، 2/ 166.

(2) انظر: د. جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2014م، ص: 28.

(3) انظر: طه عبدالرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الطبعة الخامسة، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، 2014م، ص: 65.

(4) انظر: د. علي الشبعان، الحجاج بين المنوال والمثال: نظرات في أدب الجاحظ وتفسيرات الطبري، مسكيلياني للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، تونس، 2008م، ص: 72.

حقلاً شاسعاً نجده بكامل أنواعه في تطبيقه على النظرية الحجاجية[5]، وقد أصبح الحجاج مطلبا أساسيًّا في عمليات التّواصل اليومي بين أفراد المجتمع بهدف البيان والإفهام والإقناع والتأثير، بالإضافة إلى تأثير وسائل الإعلام القويّ الذي جعل الخطاب ممارسة إبداعية تتقصّد الإقناع والتأثير في السّامعين[6].

وتزخر الثّقافة العربيّة بآثار أدبيّة للتواصل بين الآخرين، من ذلك: الشعر، والخطابة، والمناظرة. ولكلّ صنف من هذه الأشكال آلياته التي يشتغل بها للكشف عن الحقائق ودفع الشّبهات، إلّا أنَّ المناظرة تعدُّ أبلغها في آليات الاعتراض والإقناع[7]، وترتبط القيمة الحجاجية لأيّ خطاب بالنّتيجة التي يمكن أن يؤدّي إليها[8]، وقد اعتاد الباحثون على ربط الحجاج بالمناظرة نظرا إلى مقابلة الحجّة بالحجّة في سياق المخاصمة والمنازعة بين المتناظرين[9].

(5) انظر: كريستيان بلانتان، الحجاج، ترجمة عبدالقادر المهيري، منشورات دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2008م، ص: 24.

(6) انظر: عزيز لدية، نظرية الحجاج: تطبيق على نثر ابن زيدون، عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى، إربد، الأردن، 2015م، ص: 7.

(7) انظر: د. نور الدين اجعيط، مناظرة علي للخوارج مقاربة تداولية، ضمن كتاب: التحليل الحجاجي للخطاب(بحوث محكمة)، مجموعة باحثين، إشراف وتقديم: د. أحمد قادم، د. سعيد العوادي، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمان، الأردن، 1437هـ، 2016م، ص: 391.

(8) انظر:د. أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، ط:2، 2009م، ص: 32.

(9) انظر: د.أحمد قادم، "بانت سعاد" لكعب بن زهير–مقاربة حجاجية–، ضمن كتاب: التحليل الحجاجي للخطاب، ص: 543.

الحجاج: مفهوم المصطلح وتطوّره

لا يختلف مفهوم الحجاج الاصطلاحي كثيراً عن معناه اللّغوي، فهناك من يستعمل (الحجاج)، ومنهم من يفضّل (التحاجّ)، ومنهم مَنْ يفكُّ الإدغام
فيقول (التحاجُج)، ومنهم مَنْ يستعمل (المحاجَّة)، ومنهم مَنْ يفكُّ الإدغام فيقول (المحاجَجَة) وغيرها من التصريفات الاشتقاقية التي تعود جميعها إلى الجذر اللغوي(ح ج ج)[10].

والحجاج في اللّغة من حاجّ، و"حاججته أحاجه حِجاجاً ومُحاجة حتى حججته أي غلبته بالحجج التي أدليتُ بها... وجمع الحُجَّة حُجَج وحِجَاج، وحاجّه مُحاجّة وحِجاجا نازعه الحجّة... والحُجة الدليل والبرهان، وقيل: الحجة ما دُوفِع به الخصم، وقال الأزهري: الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة... ومن أمثال العرب: لجّ فحجّ، معناه لجّ فغلب من لاجّه بحججه[11]"، وبهذا المعنى يدلّ الحجاج على النزاع والخصام بوساطة الأدلّة والبراهين والحجج.

وهناك علاقة كبيرة بين الحجاج والجدل، فمنهم من قال بالتّرادف بين اللفظين، ومن هؤلاء ابن منظور في اللّسان، إذِ الجدل عنده مقابلة الحجّة بالحجّة، ويؤكّده بقوله: "رجل مِحْجاج أي جَدِل[12]"، وقد استخدم أبو الوليد الباجي لفظ الحجاج في عنوان كتابه "المنهاج في ترتيب الحجاج"، ووصفه بأنه كتاب في الجدل، يقول: "أمّا بعد، فإنّي لمّا رأيت بعض أهل عصرنا عن سبل المناظرة ناكبين وعن سنن المجادلة

(10) انظر: د. حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته، (المقدمة)، ج: 1، ص: 42.

(11) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، الطبعة الثالثة، بيروت، لبنان، 1414هـ، 1994م، (مادة ح ج ج)، 2/ 228.

(12) السابق، 2/ 228.

عادلين... أزمعت على أن أجمع كتاباً في الجدل[13]"، ومنهم من رأى أنَّ الحجاج أوسع من الجدل، فكلُّ جدلٍ حجاج وليس كلّ حجاج جدلا[14].

وقد استعمل القرآن الكريم لفظ الحجاج في معناه الفنيّ في أكثر من موضع، قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ...ﭽ سورة البقرة، آية 258، وقال: ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ...ﭽ سورة آل عمران، آية 61.

وفي الحقيقة فإنَّ الخطاب القرآني حجاجيٌّ بالدّرجة الأولى، إذْ يحتوي على ردودٍ عدَّة تجاه كثيرٍ من العقائد الباطلة، مع اتباع الأسلوب الحسن في الدعوة إلى الدِّين الحنيف، موظِّفا الحجج في إقناعه المتلقين، ولهذا اشتمل على كثيرٍ من أنواع الأدلة والبراهين[15]، ومن يتتبّع آياته، يجد أنَّ ظاهرة الحجاج بارزة في قضاياه، ويستعمل الحجج بشتّى أنواعها سواء أكانت أسلوبية، أم تاريخية، أم فكرية، أم برهانية، وغير ذلك[16]، ولم يقتصر حضور الحجاج في الخطاب القرآني على ورود مشتقات مادة "حجَّ" أو "حاج"؛ بل اشتمل على مشاهد للتحاجّ بين الأنبياء والرّسل عليهم السّلام وبين أقوامهم، كما هو الشأن في قصّة موسى مع فرعون، وقصّة يوسف، وقصّة إبراهيم، وقصّة سيدنا محمد عليهم أفضل الصلوات وأزكى السّلام[17].

---

(13) أبو الوليد الباجي، كتاب المنهاج في ترتيب الحجاج، تحقيق عبدالمجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، 1987م، ص: 7.

(14) انظر: عبدالله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، 2007م، ص: 13- 17.

(15) انظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1428هـ، 2007م، ج2، ص: 16.

(16) انظر: الحجاج عند البلاغيين العرب، علي محمد سلمان، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته، ج: 1، ص 164.

(17) انظر: د. زكرياء السرتي، التحليل الحجاجي للخطاب القرآني، ضمن كتاب: التحليل الحجاجي للخطاب، ص: 34.

والحجاج مجموعة من الإستراتيجيات الخطابية التي يتوجّه بها المحاجج إلى متلقٍ ما، بغية إقناعه والتأثير فيه، واستمالته إلى الأطروحة التي تُلْقى عليه[18]، وبعضهم قال بأنَّ الحجاج: "مجموعة من الإستراتيجيات الخطابية لمتكلمٍ ما، يتوجّه بخطابه إلى مستمعٍ معين، من أجل تغيير الحكم الذي لديه عن وضع محدّد[19]"، ومنهم من عرّفه بأنّه: "الخطاب الذي يسعى إلى تعديل أو تثبيت موقف أو سلوك المتلقي بالتأثير عليه بالخطاب أي بالكلام، سواء كان ذلك الكلام يغترف من معين العقل أو من معين العواطف والانفعالات[20]"، وذلك عن طريق تقديم الحجج المؤدّية إلى نتيجة معيّنة، فهو "ممارسة تواصلية تقتضي مشاركة أطراف متفاعلة عبر الرسائل المتبادلة، اللغوية وغير اللغوية، وهذا ما يستدعي البعد الاجتماعي المقامي للحجاج[21]"، ومنهم من عرّفه بأنه "عمليّة يبحث بها المتلفّظ لنقل أو تحويل نسق معتقداته وتمثّلاته للمخاطب عبر آليات وصيغ لسانية[22]"، فتمّ بذلك وصل الحجاج بعمليّة التلفّظ، وبقصد المتكلّم التّداولي، النّاتج عن أفعاله التي قام بإنجازها، وقيل إنَّ الحجاج "نظرية خطابية تُعنى بالتقنيات الخطابية والفعاليات الحجاجية اللغوية والاجتماعية والعقلانية التي تتغيّا الإقناع والتأثير، وكذا وظائف هذه التقنيات الحجاجية التأثيريّة وشروط بنائها ونموّها باعتبارها حججا موجّهة إلى الدفاع عن طرح معين وتبنّيه أو دحضه، وتنطلق هذه النظريّة من فكرة شائعة مؤدّاها: أنّنا نتكلم عامة بقصد التأثير[23]"، وقد

(18) انظر: د. أميمة صبحي، حجاجية الخطاب في إبداعات التوحيدي، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمان، الأردن، 1436هـ، 2015م، ص: 27.

(19) د. أبو بكر العزاوي، من المنطق إلى الحجاج، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، الطبعة الأولى، 2016م، ص: 24.

(20) محمد الولي، الحجاج مدخل نظري تاريخي، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته، 1/ 71.

(21) د. زكرياء السرتي، الحجاج في الخطاب السياسي المعاصر، عالم الكتب الحديث، ط:1،إربد، الأردن، 2014م،ص:22.

(22) د. عليوي أباسيدي، الحجاج والتفكير النقدي، دار نشر المعرفة، الرباط، المغرب، 2014م، ص: 9.

(23) عزيز لدية، نظرية الحجاج: تطبيق على نثر ابن زيدون، ص: 7.

توارد تعريف الحجاج عند كثير من الدارسين بأنه "خطاب استدلالي إقناعي يوظِّف تقنيات لغوية وغير لغوية يسعى من خلالها المحاجّ إلى التأثير في المحجوج لإحداث تغيير في مواقفه أو سلوكه[24]"، ولعلّ هذا التعريف يحوز الأفضلية في اشتماله على جميع ما يتعلّق بالحجاج من خلال بيان جنسه، وغايته، ووظيفته، وتقنياته، وينبغي ألّا ننظر إلى الحجاج باعتباره مراوغة تهدف إلى إقناع المتلقي بأيّ وسيلة، وإنّما ينبغي النّظر إلى الحجاج بوصفه شكلا من أشكال الحوار، ومجاله الرّأي وإبداء وجهات النّظر، ذلك أنَّ كلّ وجهة تحتمل الصّواب، ويساق كلّ ذلك بعقلانية دون اللّجوء إلى الإيهام والإبهام[25]، "وموضوع نظريّة الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدّي بالأذهان إلى التّسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التّسليم[26]".

وفي إشارة سريعة إلى تطوّر مفهوم الحجاج نتبيّن أنّ أهمّ الإسهامات النظرية الخاصة ارتبطت ببلاغة الإقناع في السّياق الغربي القديم بالسّوفسطائيين من خلال عنايتهم بالخطابة لنشر آرائهم وإتقان الاحتجاج لها، فقد اعتبروا أنَّ الخطيب البليغ يستطيع أنْ ينتصر لأيّ موضوع يريده بقوة حججه أو براعته بالأقيسة والقضايا[27]، وأمّا أفلاطون فقد ربط الإقناع بغايات الخير والعدل، وقد ألحَّ على ربط الخطابة بالفلسفة لتتصل بالمثل والفضيلة، ومع أرسطوطاليس ستتحقّق لبلاغة الإقناع شروط النّضج داخل النسق المعرفي الأرسطي. فقد استبطن الإسهامات السّابقة عليه من السوفسطائيين وأفلاطون وطوّرها

(24) الباشا العيادي، الحجاج في خطبة الجمعة: خطب الشيخ محمد العزيز جعيط أنموذجا، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته، 2: 1318.

(25) انظر: عبدالعزيز لحويدق، الأسس النظرية لبناء شبكات قرائية للنصوص الحجاجية، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته، 2/ 557.

(26) عبدالله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبية، ص: 27.

(27) انظر: عبداللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات ضفاف، بيروت، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، الطبعة الأولى، 1434هـ، 2013م، ص: 27- 33.

بأبحاثه في أنماط القول الإغريقي إلى قواعد جامعة، ومبادئ عظيمة[28]، وقد عرّف الحجاج بأنّه "فنُّ الإقناع أو مجموع التقنيات التي تحمل المتلقيّ على الاقتناع أو الإذعان والتسليم"، وهو عند برلمان "جملة من الأساليب تضطلع في الخطاب بوظيفة هي حمل المتلقيّ على الاقتناع بما نعرضه عليه، أو الزيادة في حجم هذا الاقتناع[29]".

وفي التّراث العربيّ الإسلاميّ ركَّز الجاحظ في مشروعه البلاغيّ على الإفهام والإقناع وما يقتضيانه من مراعاةٍ للمقام، وتكييفٍ للغة خدمةً للتواصل والتأثير، ومقارعة الرأي بالرأي، ومواجهة الخطاب بالخطاب في سبيل دعم مذهبه المعتزلي[30]، وقد انتبه الجاحظ إلى سلطان الكلام وعارضة الاحتجاج، وما لهما من مفعول قويّ في الاستمالة وجلب انخراط المستمعين لذلك ربط البلاغة بالإقناع، يقول: "قال بعض أهل الهند: جِمَاع البلاغة البصر بالحجة، والمعرفة بمواضع الفرصة[31]"، إذْ إنّ البلاغة تغدو وسيلة للتأثير في المستمع، والظهور عليه، وإقناعه بالرأي، كما جاء ذكر الحجاج عندهم بالإشارة إليه في باب الاستدلال[32]، والاستدراج[33]، والاستشهاد والاحتجاج[34]، والقياس والتمثيل[35]،

(28) انظر: عبداللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص: 34- 58.

(29) د. سامية الدريدي الحسني، دراسات في الحجاج (قراءة لنصوص مختارة من الأدب العربي القديم)، عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى، إربد، 1430هـ، 2009م، ص: 14.

(30) انظر: عبداللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص: 61- 67.

(31) الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، الطبعة الخامسة، القاهرة، 1405هـ، 1985م، 1/ 88.

(32) انظر: السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق:نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط:1،بيروت، 1403هـ،1983م،ص: 438.

(33) انظر: ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر، تحقيق: د. أحمد الحوفي، د. بدوي طبانة، دار الرفاعي، الرياض، 1403هـ، 1983م، ج2، ص: 295.

(34) انظر: أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1406هـ، 1986م، ص: 416.

والجدل والمجادلة، وغير ذلك من الإيماءات والإشارات حول هذه التقنية، وقد بنى إسحاق بن وهب مشروعه في البيان المعرفي من خلال ميله المذهبيّ الواضح، إذ القول عملية/ عقلية تنهض على الحجة، وتقتضي الاعتقاد والاعتبار. وعلى خلفية استدلالية أقام السكاكي رؤيته الرّامية إلى خلق بلاغة تداوليّة ومقصديّة تهتمّان بالمقام والمستمع، وهدف البيان عنده حجاجي يتعلق بـ"تحصيل المطلوب" مما يعني خدمته مقصديّة المتكلم ضمن سياقٍ تخاطبي مخصوصٍ ينهض على الاستدلال خدمة للنجاعة الإقناعية(36).

وتأتي بلاغة الإقناع في السّياق الغربي الحديث من خلال إسهام "بيرلمان"
و "تيتكا"، فهما يحدِّدان موضوع نظرية الحجاج في دراسة التقنيات الخطابية التي تمكّن من إثارة الأذهان في الأطروحات المقدّمة. وعليه، فإنَّ الانسجام الإيجابي مع الظّروف والمواقف المطروحة هو محور الحجاج. فالغاية إذن هي إحداث التأثير العملي الذي يمهّد له التأثير الذهني. ويعدُّ الحجاج عند "ديكرو" و "أنسكومبر" مكوّنا من مكوّنات البنية اللغويّة، تؤشر عليها تعليمات هذه البنية وتوجيهاتها، فالحجاج يتم إذن داخل اللّغة. لذلك نشأت نظريّتهما الموسومة بالحجاج في اللغة(37)، كما أنَّ البلاغة الجديدة تعرّف بأنها نظريّة الحجاج(38)، كما ركّز "جاك موشلر" على: طبيعة الحوار الحجاجية، وانتهى إلى أنَّ الخاصيّة الإقناعيّة تميّز المبادلات والمداخلات في أيِّ محاورة تتّسع أو تنغلق تبعا

(35) انظر: ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، تحقيق: د. أحمد مطلوب، ود. خديجة الحديثي، طباعة ونشر جامعة بغداد، الطبعة الأولى، 1387هـ، 1967م، ص: 76.

(36) انظر: عبداللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص: 68- 80.

(37) انظر: السابق، ص: 85- 97.

(38) انظر: صابر الحباشة، التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، أنوار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2010م، ص: 15.

لهذه الخاصيّة، وتبعا لحصول الاتّفاق بين الطّرفين، أو استمرار المفاوضة بينهما(39).

خصائص النصّ الحجاجيّ

ذكر دارسو النصّ الحجاجيّ عدَّة سماتٍ له، وأبرزها يتمثّل في الآتي:

1- الانسجام والتناغم: فالنّص الحجاجي نصٌّ متناغم منسجم بين المقدمات والنتائج، وبين البدايات والنهايات، والتّناقض بين هذه الأجزاء يضعف الحجّة، ويوهن قوّتها.

2- الحياد: فالنّصُّ الحجاجيُّ نصٌّ موضوعيٌّ، يقدِّمه صاحبه بكلِّ حياد يعرض من خلاله الحقائق، ولا يميل إلى فرض فكرة معينة، ويلوح من خلال الخطاب الحجاجيّ النزوع إلى المخاتلة وقنص الحجّة نحو الفكرة المتحدّث عنها.

3- التوجيه: إذْ إنَّ غاية النصِّ الحجاجي توجيه المتلقيّ وقيادته إلى وجهة واحدة في الخطاب، وهي الفكرة المراد الإقناع بها، والمحاجة عليها.

4- الاستدلال: فهو نصٌّ قائم على البرهنة والحجّة والدليل، وهو نظام لساني يسعى إلى الإقناع بفكرة أو مجموعة من الأفكار وفق نسقٍ تفاعلي يرمي تحقيق هدفٍ مشترك(40).

مفهوم المناظرة

المناظرة في اللّغة: مشتقّة من الانتظار، ومن النّظر بالبصيرة، ومن النّظير(41)، "والمناظرة أنْ تناظر أخاك في أمرٍ إذا نظرتما فيه معاً

(39) انظر: عبداللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص: 109- 119.

(40) انظر: د. سامية الدريدي الحسني، دراسات في الحجاج (قراءة لنصوص مختارة من الأدب العربي القديم)، ص: 5.

(41) انظر: الجرجاني، التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية، 1413هـ،1992م، ص: 298.

كيف تأتيانه[42]"، والنظير: المِثل، وفلان نظيرك أي مثلك، والنّظير: الندّ، ويقال: ناظرت فلاناً أي صرت نظيرا له في المخاطبة[43].

وفي المعنى الاصطلاحي فإنّها "النّظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهارا للصّواب[44]"، ومنهم من زاد في التعريف فقال: "والمناظرة عبارة عن النّظر من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهارا للصواب وإلزاما للخصم[45]"، ومنهم من قال بأنها "علم يُبْحَث فيه عن كيفيّة إيراد الكلام بين المناظرين[46]"، وقيل إنّها "علمٌ يعرف به كيفية آداب إثبات المطلوب ونفيه أو نفي دليله مع الخصم[47]"، وقيل إنّها "كلّ خطابٍ استدلالي يقوم على المقابلة والمفاعلة المواجهة[48]"، وبذلك يتّضح طابعها الحجاجيّ الهادف إلى الإقناع، وقيل إنّها: حوار بين طرفين، يقصد كلّ واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول الآخر، مع رغبة كلّ واحد منهما في ظهور الحق والأخذ به[49]، ولذلك فإنَّ المناظرة "ممارسة حوارية قائمة على التفاعل بين متخاطبين، يشتركان في صنع المعرفة عبر مسار حجاجي[50]".

---

(42) ابن منظور، لسان العرب، مادة (ن ظ ر)، 5/ 217.

(43) انظر: السابق، 5/ 219.

(44) الجرجاني، التعريفات، ص: 298.

(45) حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر، 1402هـ، 1982م، ج1، ص39.

(46) طاش كبرى زاده، مفتاح السعادة ومصباح السيادة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، ص280.

(47) التهانوي محمد علي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، أشرف على الترجمة رفيق العجم وآخرون، مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة الأولى، بيروت، 1996م، ج2، ص1652.

(48) طه عبدالرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص: 66.

(49) انظر: د. محمد حسن مهدي بخيت، فن المناظرة رؤية إسلامية، عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى، إربد، الأردن، 2014م، ص: 11.

(50) عبداللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص: 131.

فالمناظرة إذن: عبارة عن حوارٍ بين طرفين، يسعى كلّ طرف إلى إعلاء وجهة نظره تجاه موضوعٍ ما، والدّفاع عنه بحجج وأدلّة وبراهين من أجل إقناع الطرف الآخر بوجهة نظره، وقبول رأيه.

وممّا سبق من تعريفات يتّضح أنَّ المناظرة فنٌّ قولي يتبادل الطرفان من خلاله الكلام والآراء المتعارضة، بأسلوب حواريٍّ حجاجيٍّ، يختلفان من خلاله في الرأي حول فكرة معينة، بهدف إظهار الحق والصواب[51]. ويتّسم معجم المناظرة في اللّغة العربية بالغنى، إذْ تداول المسلمون هذا المنهج الجدلي، والتزموا به أكثر من غيره في تحصيل المعرفة وتبليغها، ومن مفردات هذا المعجم على سبيل المثال لا الحصر: المناظرة، المحاورة، المخاطبة، المجادلة، المحاججة، المناقشة، المنازعة، المذاكرة، المباحثة، المجالسة، المفاوضة، المراجعة، المطارحة، المساجلة، المعارضة، المناقضة، المداولة، المداخلة، وغيرها كثير[52].

وتتنوّع المناظرات ما بين حقيقيّة ومتخيّلة. فمن المناظرات الحقيقيّة المناظرات التي كانت تدور بين الفلاسفة والفقهاء، وكذلك بين النّحاة ونقّاد الأدب، ومن نماذج ذلك: المناظرة التي دارت بين أبي سعيد السيرافي ومتّى بن يونس حول النحو والمنطق، ومناظرة الخوارزمي وبديع الزّمان الهمذاني، ومناظرة الحاتمي والمتنبي، ومناظرة المبرّد مع ثعلب في مسائل اللّغة والنّحو[53].

ومن المناظرات المتخيّلة: مناظرة الكلب والدّيك[54]، ورسالة السّيف والقلم لابن برد الأصغر، ورسالة ابن برد الأصغر في تفضيل

(51) انظر: د. محمد أبحير، خطاب المناظرة في الأدب الأندلسي من القرن الرابع إلى نهاية القرن الثامن الهجري، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمان، الأردن، 1436هـ، 2015م، ص: 18.

(52) انظر: طه عبدالرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص: 69.

(53) انظر: د. شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، دار المعارف، د.ت، القاهرة، الطبعة السابعة، ص: 536.

(54) انظر: الجاحظ، الحيوان، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار إحياء التراث العربي، د.ت، بيروت، ج1، ص: 222.

الورد، ورسالة حبيب الحميدي في تفضيل البهار، ولأبي عمر الباجي رسالة على لسان البهار، ورسالة ابن حسداي على لسان النرجس[55].

وتأتي علاقة الحجاج بالمناظرة أنّه لما كانت المناظرة خطاباً لغوياً يتمّ باللّغة الطبيعيّة، ويهدف إلى التّأثير وإقناع السّامعين، فلا غرو أن تكون بالضرورة خطاباً حجاجياً تتبادل من خلاله كلماتُ الجدال والمناظرة والحجاج المواقعَ في بعض الكلمات[56]، ولا نبالغ إذا قلنا إنَّ المناظرة "تمثّل خطاب الحجاج أفضل تمثيل، بل إنّها أحقّ الأشكال الحجاجية بهذا التّوصيف؛ لأنَّ الحجاج يصل فيها إلى أرفع مستوى له، نظراً إلى وجود متناظرين ينصرف كلّ منهما إلى ترجيح رأيه من جهة بالاستدلال على صحّته، وتقويض رأي الخصم من جهة أخرى بدحضه وبيان تهافته، وهو ما يجعل المناظرة تتميز من غيرها من أنواع الخطاب الحجاجيّ الأخرى[57]".

شروط المناظرة

للمناظرة شروط تميّزها من غيرها من فنون القول، وتتمثّل في الآتي:

1-لا بدّ لها من جانبين، طرفا المناظرة: (مدّع، ومعترض عليه تتبدّل أدوارهما بتطوّر المناظرة)، وهذا ما كانت عليه مناظرة ابن نباتة، فقد جرت بين (السّيف/ القلم).

2-لا بدّ لها من دعوى، (وهي القضية التي يدور حولها موضوع المناظرة، والمحاجّة حوله)، فقد كانت القضية في مناظرة ابن نباتة أي الطّرفين - السّيف/ القلم- أعلى مكانة وشأنا؟.

---

(55) انظر: إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين، دار الثقافة، الطبعة السادسة، بيروت، 1981م، ص: 288.

(56) انظر: حافظ إسماعيلي علوي، التحاجج والتناظر: آليات كشف التغليط، وآداب التناظر في تراث ابن حزم الأندلسي (384هـ- 456هـ)، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته، 2: 1042.

(57) مصطفى الغرافي، الخطاب الحجاجي في البيان العربي: دراسة في التشكلات والمقومات –المناظرة–، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته، 2: 1148.

3-لا بدّ لها من مآل يكون إمّا بـالإفحام، أو بالإلزام، وهذا ما سندركه في خاتمة البحث.

4-لكلّ من الجانبين آداب ووظائف[58].

5-الندّية، إذْ لا بدّ من تساوي الرّتبة بين المتناظرين، ومناظرتنا جرت بين جمادين متساويين.

6-أنّها تجري بين المتخاطبين في وضعٍ تفاعليّ مبنيّ على الحوار حول موضوعٍ مشترك[59].

آداب المناظرة

للمناظرة آداب، نستطيع أن ندرجها في أخلاقيات المتناظرين التي يجب الالتزام بها، وهي بمثابة العامل الرّئيس لنجاحها، ومن ذلك:

1-أن يمهل المناظر خصمه حتّى يتمّ كلامه، ويبيّن حججه، ويورد أدلّته، وهذا واضح في مناظرة ابن نباتة، إذْ تبادلا الحوار ثلاث مرات لإظهار مكانة كلّ واحد منهما.

2-أن يتجنّب المناظر الإساءة إلى خصمه، أو احتقاره بالقول أو الفعل؛ بغية إضعافه عن القيام بحجته، وهذا ما سجّلته مناظرة ابن نباتة، فلم تظهر الشّماتة الممقوتة من طرفي المناظرة.

3-أن يشترك كلّ من المتناظرين في إظهار الحقّ، فالحقّ شريف، ومطلب النّفوس الزكيّة، وهذا ما سعى إليه كل من السّيف والقلم، فقد اصطلحا في النّهاية على أهميتهما معا.

4-أن يتحاشى المناظر محاورة من مذهبه المضادّة، لأنَّ هذا النّوع لا ينفع معه الإقناع بالحجّة[60].

5-أن يتنكّب المناظر عن الإيجاز الذي يخلّ بفهم المراد من الكلام، أو الإطناب دون فائدة.

6-أن يعزف المناظر عن الغريب من الألفاظ، حتى لا يؤدّي إلى عدم فهم المراد[61].

---

(58) انظر: طه عبدالرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص: 74.

(59) انظر: عبداللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص: 129.

(60) انظر: طه عبدالرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص: 74- 75.

7-نصب الحاكم، وذلك من أجل ضبط المناظرة، والتدخّل عند خروج أحد المتناظرين عن أخلاقيات التناظر من عناد، ومكابرة وغيرهما[62].

حجاجيّة المناظرة

تأتي حجاجية المناظرة من السّمة التي اصطبغت بها، وذلك من خلال خاصية المواجهة الخطابية القائمة على القبول والاعتراض، والاستدلال والجواب[63]، ولذلك فإنَّ المناظرة تعدُّ من أهمّ أنواع التواصل الحجاجي بصفتها فعالية خطابية أسلوبية، من خلال النشاط الخطابي الذي يستعمل اللّغة وسيلة للتّواصل والحجاج والإقناع[64]، وهي تمثّل حوارا حجاجيّا يقدّم خلاله كلّ متناظر حججه وشواهده للاستدلال على صحّة كلامه من موضوع التّناظر[65]، إذْ إنّها تمثّل ناتجا من نتاجات المجتمع تلبّي احتياجات أفراده، وتترجم صراعاته الدّينية والسّياسيّة والاجتماعيّة والثقافيّة[66].

ويقوم المخاطب في الحجاج بتوجيه الخطاب بما يخدم أهدافه، وبما يجعل خطابه قمينا بالنّفاذ إلى الطّرف الآخر، وبذلك فإنّنا لا ننظر إلى الخطاب بوصفه علامات لسانيّة فقط؛ بل ننظر إليه من خلال ما يتلفّظ به المخاطب الذي يسعى إلى ترك صورة إيجابيّة عن خطابه وما

---

(61) انظر: محمد الأمين الشنقيطي، آداب البحث والمناظرة، تحقيق: سعود عبدالعزيز العريفي، دار عالم الفوائد، الطبعة الأولى، مكة المكرمة، 1426هـ، ص: 274.

(62) انظر: نور الدين اجعيط، تداوليات الخطاب السياسي، عالم الكتب الحديث،الطبعة الأولى، الأردن،2012م،ص: 32.

(63) انظر: عبداللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص: 130.

(64) انظر: مجموعة من الباحثين، تقديم: أ.د. محمد القاسمي، دراسات معاصرة في اللغة والأدب والتواصل، منشورات مختبر التواصل وتقنيات التعبير، جامعة سيدي محمد بن عبدالله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سايس- فاس، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، الطبعة الأولى، 2016م، ص: 130.

(65) انظر: باشا العيادي، فن المناظرة في الأدب العربي: دراسة أسلوبية تداولية، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، 1435هـ، 2014م، ص:55.

(66) انظر: د. أميمة صبحي، حجاجية الخطاب في إبداعات التوحيدي، ص: 254.

فيه من مضامين يسعى إلى إقناع الآخرين بها[67]، وتتميّز المناظرة بطابعها الحواري المباشر، ويهدف طرفاها إلى التداول حول قضايا خلافيّة، إذْ تتدخل فيه ذاتان متقابلتان ضمن مشهد تخاطبي فعلي[68]، يسعى كل واحد منهما إلى بذل الجهد لغاية الإقناع من خلال فضاءات واسعة أكسبت الحجاج صفته الأسلوبية الحوارية من خلال تبادل الأدوار بين طرفي المناظرة تبعاً لطبيعة الوظيفة المنوطة بكلّ واحد منهما، مع توظيف الإمكانات التي تتيحها اللغة لمستخدميها، إذْ بوساطة اللغة يشكِّك المعترض، ويدلِّل العارض لدفع شكوك محاوره بحثاً عن الصواب الذي ينشده طرفا المناظرة[69]، والخلاصة أنَّ الحجاج هو عرض للرّأي مع الحجج من أجل إقناع الطّرف الآخر، فإمّا أنْ يثبت رأي الأوّل فيقتنع الثّاني، أو يظهر رأي الثّاني فيقتنع الأوّل، وكلّ ذلك من أجل البحث عن الصواب وتجنّب الخلاف[70].

المناظرة بين السّيف والقلم لابن نباتة المصريّ (686هـ – 768هـ)

تأطير المناظرة

وردت المناظرة محقّقة في مجلة المورد العراقية[71]، كما أنها جاءت في كتاب "مناظرات في الأدب"، الذي يتضمّن مناظراتٍ ثلاثًا جمعها

(67) انظر: الحجاج بالإيتوس في شعر النسيب: نونية ابن زيدون نموذجاً، د. أحمد الوظيفي، ضمن كتاب: التحليل الحجاجي للخطاب، ص: 579.

(68) انظر: عادل عبداللطيف، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص: 183.

(69) انظر: أ.نور الدين اجعيط، تداوليات الخطاب السياسي، ص ص: 62- 107.

(70) انظر: د. ليلى جغام، إستراتيجيات الحجاج في التراث العربي، دار النابغة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الإسكندرية، 1436هـ، 2015م، ص: 26.

(71) انظر: مجلة المورد، وزارة الثقافة والإعلام، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، بغداد، الجمهورية العراقية، المجلد الثاني عشر، العدد الرابع، 1404هـ، 1983م، ووردت في المجلة بين الصفحة الثالثة والعشرين بعد المئة (ص123) والصفحة الثامنة والأربعين بعد المئة (ص148)، وقد سقط اسم المحقق من المجلة، معتمدًا في تحقيقه مخطوطتين، هما: مخطوطة أوقاف الموصل، والمخطوطة التيمورية، ومعهما كتاب خزانة الأدب للحموي.

وشرح ألفاظها عزّت العطّار، وقد جاء في كلمة النّاشر قوله: "هذه ثلاث مناظرات أدبيّة شيّقة لثلاثة من أعلام الأدب العربي، أولاها "بين السيف والقلم" للشيخ جمال الدّين بن نباتة المصري[72]".

وتعدُّ المناظرة بين السّيف والقلم من المناظرات المتخيَّلة التي صنعها ابن نباتة المصري (686هـ-768هـ)، وذلك من أجل إظهار مكانة كلِّ طرف من المتناظرين بحججه وبراهينه التي يركن إليها، وأهميّته في شؤون الحياة، وعدم الاستهانة به في شتّى المجالات، وفي المقابل التقليل من الطّرف الآخر، ولكن سندرك في الخاتمة المآل الذي وصلت إليه المناظرة، ومن منهما الأحقّ والأجدر بالمكانة العالية.

أطراف المناظرة

دارت هذه المناظرة بين طرفين جمادين، هما السّيف والقلم، ويتّسم هذا النوع من الحجاج الحواري بالإيجاز والتكثيف، على عكس الحجاج الخطبي الذي يتّسم بالطول والإطناب[73]، وهذه المناظرة من المناظرات المتخيَّلة التي تقوم على اصطناع مناظرة من نسج خيال المؤلِّف بإضفاء

(72) عزّت العطّار، مناظرات في الأدب، سكريتيريّة لجنة الشّبيبة السّوريّة بالقاهرة، مصر، د.ت، ص: 3. واللاّفت للنّظر أنّ هذا التّأليف قد ضمّ **أربع مناظرات** بدل ثلاث جمعها وحقّقها عزّت العطّار سكريتير لجنة الشّبيبة السّوريّة بالقاهرة. الأولى منها وهي "مناظرة بين السّيف والقلم" للشّيخ ابن نباتة المصري ووردت في الكتاب بين الصّفحة الخامسة (ص5) والصّفحة التّاسعة عشرة (ص19)، وقد اعتمد على: كتاب خزانة الأدب للحموي مع اختلافات يسيرة؛ وأمّا الثّانية فهي "مناظرة بين الورد والنرجس" للشّيخ أبي الحسن علي بن محمّد المارديني وموقعها من الكتاب بين الصّفحة العشرين(ص20) والصّفحة التّاسعة والعشرين(ص29)؛ في حين أنّ الثّالثة هي" مناظرة بين القنديل والشّمعدان" للشّيخ عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني وجاءت بين الصّفحة الثّلاثين(ص30) والصّفحة السّادسة والثّلاثين(ص36) وأمّا المناظرة الرّابعة والأخيرة فهي بعنوان "مناظرة الأزهار" وتدور بين عساكر الرّياحين وأزاهر البساتين للشّيخ جلال الدّين السّيوطي وتقع بين الصّفحة السّابعة والثّلاثين(ص37) والصّفحة الأخيرة من الكتاب وهي الثّامنة والأربعين(48).

(73) انظر: د. عبدالعزيز لحويدق، دور المستمع في التوجيه الحجاجي، الدورة التكوينية الثانية في موضوع: بلاغة الحجاج وتحليل الخطاب، جامعة القاضي عياض، كلية اللغة العربية، مراكش، ربيع الثاني، 1437هـ/يناير، 2016م، ص: 119.

التشخيص على طرفي المناظرة، وهي تعبّر عن رؤى فكرية بأهداف مختلفة يسعى لها المؤلِّف من خلال التفكّر وإظهار القدرات، وغالبا ما ينهج أسلوب الحوار، فيتكلّم كلّ طرف عن محاسنه ومميّزاته، فيحاول النّظير نقض أقواله ودحض حججه وادّعائه، حتى تنتهي المناظرة بقاضٍ يحكم بينهما في النّهاية(74).

(74) انظر: د. رغداء مارديني، المناظرات الخيالية في أدب المشرق والمغرب والأندلس، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق، 1429هـ، 2008م، ص: 48.

حجاجيّة العنوان

يمثّل العنوان عنصرا حجاجيّا مهمّا[75]، سواء أكان عنوانا لكتاب، أم لموضوع، أو غيرهما، وقد أثرت المناظرات في عنونة كثيرٍ من الكتب، يقول شوقي ضيف: "حتى الكتب المؤلّفة نجد عليها مسحة المناظرة والجدل واضحة، حتّى على عناوناتها، إذْ كثيرا ما تُعَنْون بكلمة الردّ أو كلمة النّقض... فالجاحظ في الحيوان يورد مناظرة بين الكلب والديك، وله كتاب افتخار الشتاء والصيف، وهو مناظرة بين الفصلين، وله رسالة في مدح النبيذ ورسالة في ذمه، وكأنما كانت المناظرات لغة العصر الفكرية، فدائما مناظرات ومجادلات في كلِّ مكانٍ وفي كلِّ موضوعٍ علمي أو فلسفي أو أدبي[76]".

وفي مناظرة ابن نباتة ما يدلّ على هذه الأهميّة، النديّة التي تتجلّى بين نوعين مهمّين، لكلِّ واحدٍ منهما منزلته الكبرى. فكان العنوان يشي بأنَّ المناظرة محتدمة، وأنَّ الحجج ستكون متكافئة؛ نظراً إلى تكافؤ الفرص بين الطّرفين، وإلى المكانة المتساوية بينهما. وهذا ما جعل العنوان يتّسم بالمفارقة الظّريفة، والحجاجيّة المتكافئة من خلال تداوليّة الخطاب التي استمرت حتّى نهاية المناظرة دون أن ينتصر أحدهما على الآخر، وإنّما تجلّت في إبراز أهمية طرفيْ التنازع معاً ومكانتهما، ويمثّل العنوان "أقوى مكوّن ورابط حجاجي يصل جميع عناصر ومكوّنات النصّ، ويضمن اتّساقها البنائي الشّكلي، وانسجامها الدّلالي والرّمزي الذي يشمل النصّ الأصل بشتّى النّصوص الموازية سواء كانت ظاهرة أو مبطّنة[77]"، وقد جاء عنوان المناظرة "السيف والقلم" مكثّفاً عميقاً، ذا دلالة حجاجيّة قويّة، وكأنَّ كلَّ طرف من المتناظريْن يقول (أنا) من خلال

(75) انظر: سراب الرحموني، الحجاج في بنية كتاب "طوق الحمامة في الألفة والألاف" لابن حزم، دار سحر للنشر، أكتوبر 2013م، ص: 42.

(76) د. شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، ص: 539.

(77) د. حسن مسكين، مناهج الدراسات الأدبية الحديثة من التاريخ إلى الحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 2010م، ص: 186.

ذكر اسمه صريحا، إذْ وقف كلٌّ واحدٍ منهما أمام الآخر ندّا ونظيرا، يفخر بما لديه من مكانة، مدعّما كلامه بالحجج والبراهين.

الإستراتيجيات الحجاجيّة في المناظرة

تمثّل المناظرة نصًّا ذا بنية خطابيّة قائمة على تقنيّات حجاجيّة تنتظم من حيث الهدف داخل إستراتيجيات الإقناع ملتزمة إلى حدٍّ ما بالتنظيم الفعَّال لتلك الحجج، وتنطلق المناظرة من خلال حوارٍ يدور بين طرفين يختلفان في وجهة النَّظر إلى موضوعٍ ما، ويسعى كل واحد منهما إلى الدّفاع عن صحّة دعواه بإيراد مجموعة من الحجج والأدلّة والبراهين، مع الاعتماد على بعض الأساليب الجمالية، ذات الطّابع الحجاجي[78]، ونستطيع أن نجعلها صنفين متوائمين، أوّلهما يتّصل بالمضمون، والآخر بالشّكل، وكلاهما يساعد على بناء الحجاج بشكل يدعِّم وجهة نظر صاحبه.

(78) انظر: د. الزماني كمال، الحجاج في المناظرات الموجهة إلى أهل الكتاب، مناظرة الباقلاني لملك الروم أنموذجا، من كتاب: التحليل الحجاجي للخطاب، ص366.

أوّلا: الإستراتيجيات الحجاجيّة المتّصلة بالمضمون

أ) حجاجيّة الشّاهد:

ويمكن أنْ نسمّيها: التّقنيات أو الآليات النقليّة. إنّها أساليب تعتمد على نقل المحاجج الشّواهدَ، ومنهم من يسمّيها: حجّة الدّليل، أو الحجج الجاهزة(79)، أو وسائل الإقناع الجاهزة(80)، وتسمّى كذلك بالشّواهد، أو الاستشهادات، أو الحجج غير الصناعيّة(81)، وهي من التقنيات والإستراتيجيات القويّة في الحجاج، وذلك لتقوية رأي المرسل، أو لدحض حجج الخصم وردِّها، فيضعها المخاطِب في الموضع المناسب، ومن ثمّ، تظهر براعته في توظيفها التّوظيف المناسب في السّياق، وهي ليست من إنتاج المتكلّم؛ بل منقولة على لسانه، ونقلها على لسانه ينبئ عن كفاءته الأسلوبية، فيكمن دوره في توظيفها التوظيف المناسب في خطابه. وبهذا، فهي تعلو الكلام العاديّ، ممّا يجعلها ترقى في السلّم الحجاجي إلى ما هو أرفع(82)، وهذه "الحجج الجاهزة تكتسب قوّتها من مصدرها، ومن مصادقة النّاس عليها وتواترها(83)"، وهي بذلك تؤدِّي وظيفة حجاجيّة مهمّة، لكونها وسيلة داعمة لعمليات الإقناع، فيسعى الإنسان من خلالها إلى صدق دعواه حول فكرةٍ ما، وتغيير قناعات الآخرين(84)، وتشمل الآتي:

---

(79) انظر: عبدالهادي بن ظافر الشهري، آليات الحجاج وأدواته، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته، 1/ 285.

(80) انظر: د. نور الدين أجعيط، الوظائف التداولية للتخاطب السياسي وأبعادها الحجاجية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، الطبعة الأولى، 2016م، ص: 93.

(81) انظر: د. ليلى جغام، إستراتيجيات الحجاج في التراث العربي، ص: 26.

(82) انظر: د. عبدالهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب: مقاربة تداولية لغوية، دار كنوز المعرفة، الطبعة الثانية، 1436هـ، 2015م، ص: 328- 329.

(83) د. محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، الخطابة في القرن الأول نموذجاً، أفريقيا الشرق، الطبعة الثانية، المغرب، 2002م، ص: 90.

(84) انظر: د. عبدالسلام عشير، عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، أفريقيا الشرق، الطبعة الثانية، الدار البيضاء، المغرب، 2012م، ص: 164.

1- الشّاهد الدّيني:

يشكِّل النصّ الدّيني مرتكزاً رئيساً للمتكلّم في خطابه الحجاجي، نظراً إلى قداسة النصّ، وعصمته من الخطأ والطّعن، وهو بذلك لا يقبل النّقد أو الاعتراض[85]، ويتنوّع الشّاهد الدّيني في المناظرات بين القرآن الكريم، والحديث الشّريف، وذلك على النّحو الآتي:

أ) الشّاهد القرآني:

يعدُّ القرآن الكريم تقنية حجاجيّة تضيف الشرف والهيبة والجلال والقوّة والحجّة والإقناع في الخطاب؛ لأنّه كتاب المسلمين المقدّس الذي يحرصون على الاستشهاد به، يقول الجاحظ: "كانوا يستحسنون أن يكون في الخطب يوم الحفل، وفي الكلام يوم الجمع آي من القرآن، فإنَّ ذلك ممّا يورث الكلام البهاء والوقار[86]"، ويكون مصدراً في إقامة الحجة، واستسلام الخصم، وانتهاء الخلاف ممّا لا تقوم به الكتب المطوّلة والأدلّة الأخرى[87]، ولذا فإنَّ الهدف من الحجاج القرآني هو الإقناع؛ وقد اتخذ من آلات البيان وسيلة لمناقشة مجالات متنوعة[88]، ويعدّ الاستشهاد بالقرآن الكريم أكبر وسائل الاستشهاد في الثقافتين العربية والإسلامية والإقناع فيه أكثر، فهو من الحجّة بالسّلطة التي لا يمكن رفضها أو دحضها، وذلك من خلال هيبة المتكلّم ونفوذه وسطوته[89]، كما أنَّ

(85) انظر: د. أحمد علواني، الحجاج عند الطفيليين، دار التنوير للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، 2015م، ص: 89.

(86) الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص118.

(87) انظر: أحمد القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1405هـ،1985م، 1/ 191.

(88) انظر: إشراف وتحرير حسن خميس الملخ، الحجاج: رؤى نظرية ودراسات تطبيقية، عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى، إربد، الأردن، 2015م، ص: 134.

(89) انظر: أ.د. عبدالله صولة، في نظرية الحجاج: دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، تونس، 2011م، ص: 52.

"الحجاج القرآني منهج محكم يراد به الإبانة والإبلاغ والإقناع[90]"، ولذا حرص أصحاب المناظرات على تقوية كلامهم بآياته، ودعموا بحججه دعاواهم وآراءهم، ويأتي الاستشهاد بالقرآن الكريم صريحا، "وتكمن قوّته الحجاجيّة في: تأكيد مصدر الحجة. فالشّاهد الدّيني يستمدّ سلطته وحجّيته من مصدره، ومن ثمّ تأتي هذه العبارات الممهّدة لتذكّر المتلقّي وتنبّهه إلى أنَّ رفض الحجة هو رفضٌ لسلطةٍ دينيّة مقدّسة، وهو الأمر الذي يجعل رفض هذا النوع من الحجج صعبا[91]"، وقد ورد ذلك عند ابن نباتة في مناظرته، وذلك بأنْ يذكر المناظر بعضاً من الآية الكريمة مع كلامه، ولهذا الاستخدام وظيفة حجاجيّة خاصة عندما يتّخذ الخطاب منحى عاطفيّا يركّز على إثارة انفعالات المتلقّي، حتى إذا ما أخذ بناصيته وجَّهه حيثما شاء، فتغدو الإشارة الصريحة إلى بداية آية أو حديث بمثابة المنبّه الذي قد يخرج المتلقي من انفعالاته، وتعصّبه لآرائه، ويعيده إلى التفكير مرّة أخرى في رأيه، وأهميّة التّراجع عنه في ظلّ وجود سلطة دينيّة تخالف رأيه، كما أنَّ تنبيه المتلقي قد يعيد الشّاهد الديني إلى سياقه الأصلي الذي قد يكون مخالفاً للسّياق الخاصّ بالمناظرة، ولا شكَّ في أنَّ الاقتباس الدّينيّ يجعله ينصهر بشكلٍ سلسٍ في كلام الكاتب، فيحافظ على الانسجام النفسيّ بين المتلقيّ والأسلوب الذي جاءت من خلاله المناظرة، فيجعل معنى الآية جزءا من معاني المناظرة؛ بل يكسبها معنى جديدا يرتبط بالسّياق الخاصّ بالمناظرة من خلال ما يتّسم به الأسلوب القرآني من خاصيّة حجاجيّة لا توجد في غيره[92]، وممّا ورد من هذا النوع قول

(90) د. عبدالجليل العشراوي، آليات الحجاج القرآني: دراسة في نصوص الترغيب والترهيب، عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى، إربد، الأردن، 2016م، ص: 13.

(91) د. عبدالعالي قادا، الحجاج في الخطاب السياسي: الرسائل السياسية الأندلسية خلال القرن الهجري الخامس أنموذجا (دراسة تحليلية)، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمّان، الأردن، 1436هـ، 2015م، ص: 152.

(92) انظر: د. عبدالعالي قادا، الحجاج في الخطاب السياسي: الرسائل السياسية الأندلسية خلال القرن الهجري الخامس أنموذجا (دراسة تحليلية)، ص: 157.

ابن نباتة عندما تحدّث على لسان القلم معلنا انطلاق المناظرة[93]: بسم الله الرحمن الرحيم. "ن. والقلم وما يسطرون. ما أنت بنعمة ربّك بمجنون". وهذه البداية للقلم استراتيجية حجاجية قويّة، ودليل ساطع على بيان منزلته تجاه نظيره السّيف، فلا يقسم سبحانه إلّا بما هو عظيم، وذي منزلة كبيرة.

وفي موضع آخر من مواضع الحجج القلميّة، يورد المتكلّم على لسان القلم شاهدا قرآنيّا آخر يأتي به للدّلالة على قيمة القلم العالية، يقول: "به رقم كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل[94]"، وهذا اقتباس من قول الله تعالى: "لَا يَأْتِيهِ الباطلُ مِنْ بَينِ يَديهِ ولَا مِنْ خَلفهِ تنزيلٌ مِنْ حَكيمٍ حَميدٍ" سورة فصلت، آية 42.

ويقول على لسان القلم مفتخرا: "وكيف يُعادَى من إذا كرع في نفسه قيل: إنّا أعطيناك الكوثر، فإذا ذكر شانئه السّيف قيل: إنَّ شانئك هو الأبتر[95]"، وهذه الحجّة متّكئة تماماً على سورة الكوثر.

ومن حجج الطّرف الآخر – السّيف- بالشّاهد القرآني المباشر قوله: "بسم الله الرحمن الرحيم. وأنزلنا الحديد فيه بأسٌ شديدٌ ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إنَّ الله قويٌّ عزيز[96]".

وقد يستخدم المناظر استراتيجية الإشارة والتلويح، بأنْ لا يورد النصّ القرآني؛ بل يشير إلى معنى الآية، ويوظِّف بعض ألفاظها، ولا تخلو هذه الصّورة من توظيف الشّاهد القرآني من نجاعة إقناعيّة وقوّة حجاجيّة، فيقوم المناظر حينها بتدعيم أفكاره بمعانٍ قرآنيّة، ويوظِّف

(93) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص128)، ومناظرات في الأدب، ص: 5.

(94) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص128)، ومناظرات في الأدب، ص: 6.

(95) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص130)، ومناظرات في الأدب، ص: 7، وجاء الفعل: "فقلْ" بدل: "قِيل".

(96) مجلة المورد العراقية، (مج12، ع4، ص130)، ومناظرات في الأدب، ص: 8, والآية في سورة الحديد، آية 25.

بعض ألفاظه، فيكون التلميح حينئذ أنجع من التّصريح[97]، ومن ذلك ما ذكره ابن نباته في الحجة التي قدّمها القلم لإثبات مكانته، وحجم المسؤوليّة الملقاة على كاهله: "وبعين الله في ليالي النفس تقلب وجهه في السّاجدين[98]"، فهو مأخوذ من قوله تعالى: "وتقلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ" سورة الشعراء، آية 219، وفي حجّة أخرى يقدّمها القلم للدّلالة على مكانته يقول: "والجاري بما أمر الله من العدل والإحسان"[99]، وهو بذلك يتّكئ اتكاء غير مباشر على قوله تعالى: چچ چ چ چ چ چسورة النحل، آية 90.

ومن حجج السّيف التي يفخر فيها على القلم، ويظهر مكانته، والنتيجة التي يأتي بها من خلال الاتكاء على الشّاهد القرآني بصورة غير مباشرة، قوله: "وأجناهم من ورق حديدها الأخضر ثمار نعيمها الدّانية القطوف[100]"، فهي حجة متّكئة على قوله تعالى: چ ئے ۓ چ سورة الحاقة، آية 23.

وفي موضع آخر يعدِّد السّيف حججاً متوالية لإثبات قوته ومكانته في التّاريخ الإسلامي متكئاً على عدة آيات بصورة غير مباشرة، يقول: "وأطلعته في ليالي النقع سراجاً وهاجاً، وفتحت باب الدين بمفتاحه حتّى دخل فيه الناس أفواجا...فهو ذو الرأي الصّائب، والريّ الصّائب، وشهاب العزم الثّاقب، وسماء العزّ التي زُيّنت من آثاره بزينة الكواكب، والحدّ الذي كأنه ماء دافق، إذا خرج عند قطع الأجساد من بين الصّلب والتّرائب[101]".

---

(97) انظر: د. عبدالعالي قادا، الحجاج في الخطاب السياسي: الرسائل السياسية الأندلسية خلال القرن الهجري الخامس أنموذجا (دراسة تحليلية)، ص: 159.

(98) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص128)، ومناظرات في الأدب، ص: 6، ووردت "النقس" بمعنى: الحبر، بدل: "النفس".

(99) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص129)، ومناظرات في الأدب، ص: 7.

(100) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص131)، ومناظرات في الأدب، ص: 8.

(101) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص131-132)، ومناظرات في الأدب، ص: 8- 9، وفيها: النقع والشك، و"مصباحه" بدل: "مفتاحه"، ولم ترد "والريّ الصّائب"، و"يخرج" بدل: "إذا خرج".

ب) الشّاهد الحديثي:

تأتي الأحاديث النبويّة الشّريفة في المنزلة الثّانية بعد القرآن الكريم، فقد كان صحابة رسول الله والتابعين من بعدهم يحتجّون بالحديث، ويستشهدون به أثناء خلافهم، فيأخذون به، وينقادون لما جاء فيه[102]، ولذلك كان لزاماً حفظ الكثير من الأحاديث النبويّة، للاحتجاج بها في مواضعها ولتقوى الحجة، ويستسلم الطّرف الآخر، وقد جاء الشّاهد الحديثي مباشراً في مناظرة ابن نباتة، وذلك في حجّة القلم، عندما قال: "وصلّى الله وسلم على سيدنا محمدٍ القائل: "جفَّ القلم بما هو كائن[103]"، ويحاجج السّيف نظيره القلم، ويدعم حجّته بالحديث النبوي بصيغة مباشرة قائلا: "الحمد لله الذي جعل الجنّة تحت ظلال السّيوف[104]"، وفي هذه الحجّة فخر للسّيف، وإثبات لمكانته بحجّة لا تقبل من الرأي الآخر اعتراضاً، لوجود الشّاهد الحديثي الذي يمنع الخوض فيه؛ لأنّه من قول الصّادق الأمين.

وقد يأتي الشّاهد الحديثي بشكل غير مباشر في سياق حجج المتناظرين، من ذلك ما جاء في إحدى حجج القلم عندما قال: "وقام في المحاماة عن دينه أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره[105]"، فهو مأخوذ من قوله صلّى الله عليه وسلّم: " رُبَّ أشعث أغبر مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبرّه" رواه مسلم.

2- الشّاهد الأدبي:

يعدُّ الشّعر من أقوى الحجج والآليات التي يلجأ إليها أطراف التناظر للحمل على الإقناع بصفته ديوان العرب، والاستشهاد به يضفي

---

(102) انظر: أحمد القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، 1/ 202.

(103) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص128)، ومناظرات في الأدب، ص: 5، وقد جاء: "الذي قال"، بدل: "القائل".

(104) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص130)، ومناظرات في الأدب، ص: 8.

(105) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص129)، ومناظرات في الأدب، ص: 7، وقد جاءت: "دينها"، بدل: "دينه".

قوّة في الأبنية اللّغوي منها والمعرفي والإقناعي داخل هذه الثقافة، وهو حجّة في ردع الخصم وإفحامه، فيلجأ أطراف التناظر إلى الاستشهاد بنصوص أدبيّة، ولا سيّما في الشّعر العربي القديم، لإدراكهم حجاجيتها، وقدرتها على الاستمالة والتحفيز والإقناع، نظير ما تحتلّه من سلطة أدبيّة تمنح النصّ قيمة وجمالا[106]، وقد حظي الشعر منذ القديم بمكانة رفيعة واهتمام كبير، ممّا أكسبه – بالإضافة إلى قيمته الفنية الإمتاعية – وظيفة أسلوبيّة حجاجيّة ونفس إقناعي يستميل الأعناق ويوجّه النّفوس والعقول نحو فعل الشّيء أو تركه، وقد يكون الاستشهاد بذكر اسم الشّاعر، وخاصّة عندما يكون الاستشهاد لشاعرٍ كبير، وذلك من أجل دعم قوّة الشّاهد الإقناعية باسم صاحبه، فيستثمر كاتب المناظرة مكانة الشّاعر الأدبيّة في التّراث الشّعري العربي، ومن ثم في نفس المتلقي العربي المثقّف فتغدو الحجّة حجّتين: حجّة القول نفسه، وحجّة قائله، إنّه استناد مزدوج لسلطة التّراث يزيد من نجاعة الحجّة وقدرتها على التّأثير والإقناع[107]، وكأنّ ابن نباتة قد أدرك هذه الوظيفة، فاستشهد في مناظرته بالشّعر العربي كثيراً. من ذلك قوله على لسان القلم، وسياق الدّليل على نفوذه ومكانته من خلال الشّاهد الشّعري: "وافهم قول ابن الرّومي:

(البسيط)

إنْ يخدمِ القلمَ السّيفُ الذي خضعتْ ... لهُ الرّقابُ ودانتْ خوفه الأممُ

فالموتُ والموتُ لا شيءٌ يخالفُهُ ... ما زالَ يتبعُ ما يجري بهِ القلمُ

بذا قضى اللهُ للأقلامِ مذْ بريتْ ... أنَّ السّيوفَ لها مذْ أُرهفتْ خدمُ[109]

(106) انظر: عبدالفتاح كيليطو، الأدب والغرابة، دراسات بنيوية في الأدب العربي، دار توبقال للنشر، الطبعة الثانية عشرة، الدار البيضاء، 2015م، ص: 87.

(107) انظر: د. عبدالعالي قادا، الحجاج في الخطاب السياسي: الرسائل السياسية الأندلسية خلال القرن الهجري الخامس أنموذجا (دراسة تحليلية)، ص: 162.

وفي حجج السّيف ومكانته القويّة، يتمثّل بقول أبي تمام ذاكرا اسمه عندما استشهد بقوله:

(البسيط)

السّـيفُ أصـدقُ أنبـاءً مـنَ الكتـبِ في حـدَّهِ الحـدُّ بـينَ الجـدِّ واللعـبِ

بيضُ الصّفائحِ لا سودُ الصّحائفِ في مُتُـونهنَ جَـلاءُ الشَّـكِّ والرِّيـبِ[110]

وقد جاءت بعض الحجج من خلال الشّاهد الشّعري دون أنْ يشير المناظر إلى صاحب الأبيات، فالقلم يحاجّ نظيره السّيف من خلال ما قاله ابن نباتة على لسانه: "وجلس على كرسي دواته مستدلاّ بقول القائل:

(الكامل)

قَلَـمٌ يفـلُّ الجَـيشَ وَهْـوَ عَرَمـرمٌ وَالبِـيضُ مَـا سُـلَّتْ مِـنَ الأَغْمَـادِ

وَهَبَـتْ لَـهُ الآجَـامُ حـينَ نشَـابها كَـرمَ السِّـيولِ وَصَـولةَ الآسَـادِ[111]

وفي حجة أخرى يقدّمها القلم لنظيره السّيف مستخدماً الشّعر مطيّة لقوّته وعظمته:

(البسيط)

شـتَّانَ مـا بـينَ جسمٍ صِيغَ مـنْ ذَهَـبٍ وذاكَ جسمي وجسمٌ صيغَ من بَهَقِ[112]

ولم ينس السّيفُ الشّعرَ ليكون دعامة حجاجيّة له، إذْ قال ابن نباتة عنه: "وتمثّل بقول القائل:

(الطّويل)

سَلِ السّيفَ عـنْ أصلِ الفخـارِ وفرعـهِ فَـإنِّي رأيـتُ السّـيفَ أفصـحَ مقـولا[113]

---

(109) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص137)، ومناظرات في الأدب، ص: 13، وقد جاء:"يعادله" بدل: "يخالفه"، و"إذْ" بدل: "مذ".

(110) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص141)، ومناظرات في الأدب، ص: 15.

(111) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص130)، ومناظرات في الأدب، ص: 7- 8.

(112) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص136)، ومناظرات في الأدب، ص: 12.

وفي حجّة أخرى يستخدم السّيف أبياتاً لتكون ردّا على القلم من خلال ما ذكره أربابه وأهله:

(مجزوء الرجز)

أفٍ لـــــــــرزقِ الكَتَبَـــــــــةْ أفٍ لـــــــهُ مـــــــا أصـــــــعبَهْ

يَا قلمـــــــاً يرفـــــعُ في الطْـــــــ طُـــــــرْسِ لـــــــوجهي ذنبـــــــهْ

مـــــا أعـــــرفُ المســـــكينَ إلْـــــ ـــــــــلَا كاتبـــــــاً ذا متربـــــــهْ

يُرتشـــــــفُ الـــــــرّزقُ بـــــــهِ مـــــنْ شِـــــقّ تلـــــكَ القَصَـــــبهْ[114]

ولبيان حجاجيّة الشّعر وسطوته في الإقناع ما قاله ابن نباتة: "من فضل النظم أنَّ الشواهد لا توجد إلا فيه، والحجج لا تؤخذ إلا منه، أعني أنَّ العلماء والحكماء والفقهاء والنحويين واللغويين يقولون: (قال الشاعر)، (وهذا كثير في الشّعر)، و(الشّعر قد أتى به)، فعلى هذا الشّاعر هو صاحب الحجّة، والشّعر هو الحجّة[115]".

(113) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص134)، ومناظرات في الأدب، ص: 10.

(114) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص139)، ومناظرات في الأدب، ص: 14، مع اختلاف ترتيب الأبيات.

(115) أبو حيان التوحيدي، كتاب الإمتاع والمؤانسة، صححه وضبطه وشرح غريبه أحمد أمين، وأحمد الزين، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، صيدا، د.ت، 2/ 136.

أ) **حجاجيّة المثل:**

المثل حجّة تقوم على المشابهة بين حالتين، ويراد استنتاج نهاية إحداهما بالنظر إلى نهاية الأخرى المشابهة لها(116)، ويستعمل المتكلم المثل ليعقد الصلة بين السياق الحالي المشاهد وبين السياق الآخر الغائب، ويستحضر بهذا مصداقية الحجة التي أوردها في خطابه لتقوية كلامه(117)، وهذه الأمثال تختزل عمق التجربة الإنسانية، فتداولها السلف قبل الخلف فزاد كثرة تداولها بين الناس حجية، وذلك من أجل الإقناع بفكرة من الأفكار التي يتبنّاها الباثّ للمستمعين(118)، يقول ابن وهب: "وأمّا الأمثال فإنَّ الحكماء والعلماء والأدباء لم يزالوا يضربون ويبينون للنّاس بتعرف الأحوال بالنظائر والأشكال، ويرون هذا النّوع من القول أنجع مطلبا وأقرب مذهبا(119)"، وتتضمّن الأمثال مبادئ حجاجيّة عميقة، والاستشهاد بها في الخطاب يكون لغايات إقناعية استدلالية، ويوظِّف المتكلّم في خطابه المثل باعتباره حجّة قوية جاهزة، وهي حجّة غير عادية، مثله مثل الشّواهد وأقوال العلماء والحكماء(120)، ولا شكَّ أنَّ كتَّاب المناظرات بثقافتهم الكبيرة عرفوا قيمة الأمثال، ووعوا أغراضها الأسلوبية والحجاجيّة، لذلك جاءت مناظراتهم غنية بها، ونلحظ ذلك عند ابن نباتة في مناظرته، حيث لجأ السّيفُ إلى المثل في تحاجه مع القلم موجها الكلام له: "وأسأله الإعانةَ على كلِّ باحثٍ عن حتفه بظلفه(121)"، فكأنه تهديد للقلم بأنَّ حتفه أمامه، وهو ساعٍ إليه، جالب له، حيث اتّكأ على

(116) انظر: محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص: 82.

(117) انظر: آليات الحجاج وأدواته، عبدالهادي بن ظافر الشهري، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته، 1/ 291.

(118) انظر: د. عبدالعالي قادا، الحجاج في الخطاب السياسي: الرسائل السياسية الأندلسية خلال القرن الهجري الخامس أنموذجا (دراسة تحليلية)، ص: 168- 169.

(119) ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، ص: 145.

(120) انظر: د. أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 2010م، ص: 84- 87.

(121) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص134)، ومناظرات في الأدب، ص: 10.

المثل العربي المشهور، وذلك أنَّ قوماً أرادوا ذبح ماعزٍ لديهم فلم يجدوا شفرة، فنبشت بظلفها الأرض، واستخرجت منها شفرة فذبحوها بها.

وفي موضع آخر يقول السّيف: "لأمرٍ ما جدع قصير أنفه، وأمسك عن المشاحنة خيفة الزلل، واستعاذ من الخلل، فإنَّ السّيوف معروفة بالخلل(122)"، وهو بذلك يؤيّد الصّلح الذي نادى به نظيره القلم في خاتمة المناظرة، عندما اتّضحت أهمية كل واحدٍ منهما في الحياة.

ب) حجاجيّة القيمة:

تأتي بعض الحجج التي تعطي طرف المناظرة قيمة له، وبياناً لمنزلته، وحجّة لإعلاء مكانته، ومن ذلك ما ورد عند ابن نباتة في مناظرته على لسان القلم: "إنْ نظمت فرائد العلوم فإنما هو سلكها، وإنْ علت أسرة الكتب فإنما هو فلكها، وإنْ رقمت برود الألفاظ فإنما هو جلالها، وإنْ تشعبت فنون الحكم فإنّما إليه مآبها ومالها، وإذا تقسّمت أمور الممالك فإنما هو عصمها وثمالها، وإن اجتمعت رعايا الصّنائع فإنّما هو إمامها المتلفّع بسواده، وإنْ زخرت بحار الأفكار فإنما هو المستخرج درّها من ظلمات مداده، وإنْ وعد أوفى بجلب النّفع، وإنْ أوعد أخاف كأنما يكتب من النّقع، هذا وهو لسان الملوك المخاطب، ورسيلها لإبكار الفتوح والخاطب، والمنفق في تعمير دولها محصور أنفاسه، والمحتمل أمورها الشاقة على عينه ورأسه، والمتيقظ لجهاد أعدائها(123)".

وفي حجّة أخرى يظهر القلم قيمته قائلا: "أتفاخرني وأنا للوصل وأنت للقطع، وأنا للعطاء وأنت للمنع، وأنا للصّلح وأنت للضراب، وأنا

---

(122) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص144- 145)، ومناظرات في الأدب، ص: 17، ووردت "المشاغبة" بدل: "المشاحنة".

(123) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص128- 129)، ومناظرات في الأدب، ص: 6، وجاءت: "ملكها"، بدل: "فلكها"، و"البيان" بدل: "الألفاظ"، و"فإنما هو أمانها"، بدل: "فإنما إليه مآبها"، و"إذا انقسمت"، بدل: "تقسّمت"، و"دررها"، بدل: "درّها"، و"يستمد"، بدل: "يكتب"، و"محصول"، بدل: "محصور".

للعمارة وأنت للخراب، وأنا للجمع وأنت للشتات[124]"، ويزيد قيمة القلم مكانة إيراده الحجج المتتابعة مدعومة بالتّضاد بين كلماته، فهي مقارنة بينه وبين نظيره السّيف، يظهر من خلالها سماته، وفي المقابل عيوب خصمه، معتمدا على "الأنا" التي يشي من خلالها أنه الأجدر بالمكانة والرفعة.

ويقول القلم مظهراً مكانته، ومعرِّضاً بمكانة السيف: "هيهات أنا المنتصب لمصالح الدول، وأنت في الغمد طريح، والتَّعِب في تمهيدها وأنت يا غافل مستريح، والساهر وقد مهد لك في القراب بمضجع، والجالس عن يمين الملوك وأنت عن يسارها، فأيّ الجليسين أرفع[125]"، وقد اشتمل هذا التدعيم بالقيمة على تضاد في الكلمات بين طرفي المناظرة، ليبين القلم مكانته الرفيعة، ويعرض بمكانة السّيف الوضيعة!

كما تأتي حجاجيّة القيمة في حجج السيف، إذْ يحتجّ لدى القلم قائلا: "أنت السّوقة وأنا الملك، وأنا الصّادق وأنت المؤتفك، وأنت للهزل وأنا للجدّ...وأنت لصون الحطام وأنا لصون الممالك...وأنا الباصر وأنت الأرمد، وأنا المخدوم الأبيض، وأنت الخادم الأسود[126]".

ثانيا: الإستراتيجيات الحجاجيّة المرتبطة بالشّكل

لا يمكن أنْ نغفل التقنيات الحجاجيّة المرتبطة بالشّكل، ولا نستطيع أنْ نفصل بين الشّكل والمضمون في الشّأن الخطابي، ولا يمكن أنْ ندرس البنى الأسلوبية منفصلة عن غاياتها الحجاجيّة، وأسلوب المناظرة يتميز "بمزجه بين الأدلة التي تكفل الإقناع، والإثارة التي تحقِّق الاستمالة، فهو من جهة يحاول تقرير الحقائق فيتجه إلى الفكر، ومن جهة أخرى يحاول

(124) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص135)، ومناظرات في الأدب، ص: 11.

(125) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص135- 136)، ومناظرات في الأدب، ص: 11- 12، وقد وردت: "المتعب" بدل: "التعب"، و"غافل" بدل: "يا غافل"، و"الغمد"، بدل: "القراب"، و"مضجع"، بدل: "بمضجع"، و"الملك" بدل: "الملوك"، و"يساره" بدل: "يسارها"، و"الحالتين"، بدل: "الجليسين".

(126) مجلة المورد العراقية،(مج 12، ع4، ص138)، ومناظرات في الأدب،ص:13- 14.

إثارة العواطف فيتجه إلى الوجدان[127]"، وسأقوم بدراسة أبرز التقنيات البلاغية، والسّمات الأسلوبية المميزة في المناظرة، حتّى يتجلى لنا القصد الإقناعي فيها.

أ) **الإستراتيجيات البلاغيّة:**

من الأساليب اللّغويّة الحجاجيّة ما يتعلق بالصور البلاغية التي نُظِر إليها نظرة أدبية قصرتها على التحسين والتزيين، ولكن ينبغي أن ننظر إلى أنها استخدمت في الخطاب من أجل الحجاج والإقناع، وأنّها ذات قيمة وظيفية حجاجية "تهدف إلى إقناع المتلقي بفكرةٍ من الأفكار، أو بمعنى من المعاني، ولم تعد الصورة تزين لمجرد التزيين أو تقبح لمجرد التقبيح، أو تصف لمجرد الوصف، أو توضح لمجرد التوضيح، أو تبالغ لمجرد المبالغة، وإنما أصبحت تؤدي كل هذه الوظائف جميعها لخدمة هدفٍ أسمى هو فنّ الإقناع[128]"، ونلحظ أنَّ معظم الأساليب البلاغية تقوم بأداء أغراض تواصلية، وتأتي لإنجاز مقاصد حجاجية، ولإفادة أبعاد تداولية أسلوبية[129].

1- حجاجيّة الصّورة:

ويسمّيها بعضهم بالقياس، ويقصد به: كل ما يمكن أن يتمَّ القياس من خلاله بلاغيّا، كالتّشبيه، والاستعارة، حيث إنَّ هذه الأشياء قياسات يسوقها المتكلّم حجّة على صحّة المعنى السّابق، بغية إقناع المخاطب والتأثير فيه، وهو بذلك يكون وسيلة حجاجيّة مهمّة في الخطابات التي تهدف إلى الإقناع والتأثير في المتلقّين. إنّه خطاب ينقل العقل من المعنى في الحالات التصوّرية العادية إلى الحالة التصديقيّة، فهو بمثابة إحضار

(127) د. نور الدين اجعيط، مناظرة علي للخوارج مقاربة تداولية، ضمن كتاب: التحليل الحجاجي للخطاب، ص: 397.

(128) د. الزماني كمال، حجاجية الصورة البلاغية في الخطابة السياسية لدى الإمام علي رضي الله عنه، ضمن كتاب: التحليل الحجاجي للخطاب، ص: 465.

(129) انظر: من إشكاليات تطبيق المنهج الحجاجي على النصوص، حجاجية المفردة القرآنية نموذجا، صابر الحباشة، ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، 2/ 853.

المعنى المطلوب ليشاهد في الواقع[130]، ولذلك فإنّنا لا نقوم بإلغاء بُعْد الصّورة الجمالي، والتّقليل من شأنه، وإنّما يمتزج الجماليّ مع الحجاجيّ ليمثّل قوّة في اللفظ والمعنى معا، وتتراوح قوّة التّشبيه الحجاجيّة بين حذف عناصره وذكرها، وكذلك عنصر المقام الذي يرد فيه هذا التشبيه إضافة إلى عنصر التواصل، وأطرافه (مرسل الخطاب ومضمونه ومتلقيه)[131]، ويقوم التّشبيه بدورٍ حجاجي كبير من خلال تقريب الصورة إلى ذهن المتلقّي، فيقتنع بالفكرة التي يريد توصيلها إليه المخاطب، وبذلك يظهر دور الصورة التشبيهيّة في الإقناع، والتأثير في نفسية المتلقّي ووجدانه[132]، ويعدّ التّشبيه "طريقة حجاجيّة تعلو قيمتها على مفهوم المشابهة المستهلك، فلا يرتبط التّمثيل بعلاقة المشابهة دائما، وإنّما يرتبط بتشابه العلاقة بين أشياء ما كان لها أن تكون مترابطة[133]"، وممّا ورد من حجاجيّة التّشبيه عند ابن نباتة قوله عن القلم: "والجاري بما أمر الله به من العدل والإحسان فكأنما هو لعين الدهر إنسان[134]"، وهو بذلك يوضِّح أهمية القلم، ومكانته في الحياة، ويحج القلم نظيره السيف قائلا: "وكيف لا وأنت كالظفر كونا، وقطعت اللذات ولم لا وأنت كالصبح لونا[135]"، فهو يعرّض بمكانته شكلا وهيأة.

وفي ختام المناظرة وإيراد القلم حجته للسّيف ومن أجل أن يقبل الصّلح والسّلم أتى بتشبيه يحكي واقعهما: "أما أنا وأنت للملك كاليدين، أما

---

(130) انظر: الحجاج عند البلاغيين العرب، علي محمد علي سلمان، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته، 1/ 177-179.

(131) انظر: د. محمد لشهب، الروابط الحجاجية في المقامة: مقامة النحو للزمخشري نموذجا، ضمن كتاب: التحليل الحجاجي للخطاب، ص: 450.

(132) انظر: د. عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي، عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى، إربد، الأردن، 2014م، ص: 291.

(133) د. عبدالسلام عشير، عندما نتواصل نغير (مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج)، ص: 97.

(134) مجلة المورد العراقية،(مج 12، ع4، ص129)، ومناظرات في الأدب، ص: 7.

(135) مجلة المورد العراقية،(مج 12، ع4، ص136)، ومناظرات في الأدب، ص: 12.

نحن في تشبيده كالركنين الأشدين[136]"، وعند قبول السّيف الصّلح يتكئ على حجاجيّة التّشبيه ويصوّر حاله مع نظيره القلم قائلا: "وفي آفاقه كالقمرين[137]".

وتعدُّ الاستعارة من أهمّ التّقنيات الحجاجيّة، والآليات الإقناعية، وذلك بفضل المزج الذي تحدثه بين المستعار والمستعار له. وبناءً على ذلك، عدّها دارسو الحجاج في أحيان كثيرة أنّها لا تأتي من باب الزخرف الكلامية؛ بل هي أداة أساسيّة في الحجاج، وهي من الوسائل الجيّدة في الإيصال والتبليغ، استنادا على ما توفّره من طاقة حجاجيّة لإقناع المتلقّي، والتأثير فيه[138]؛ بل إنّ الاستدلال بواسطة التمثيل من خلال الاستعارة والتشبيه يعني تشكيل بنية واقعية تسمح بإيجاد حقيقة عن طريق علاقة الشبه التي تربطه بأمرٍ ما، وهي بذلك حجاجية من جهة أنّها تمثّل ضربا من القياس الذي يجمع بين الإقناع والجمال[139]. وتحمل الاستعارة في بنيتها طاقة حجاجيّة عالية، إذْ يوجد حذف وجه الشّبه فيها فضاء ضمنيا يحمل المتلقّي على المشاركة في صنع الكلام المتبقّي، فيكون بذلك قد خطا خطوة على درب الاقتناع بما يُعرض عليه من آراء تستدعي موافقته[140]. وقد تضمَّنت مناظرة ابن نباتة عدّة استعارات. من ذلك احتجاج القلم على نظيره السّيف: "فإنَّ القلم منار الدّين والدّنيا، ونظام الشّرف والعليا، ومخارج سحب الخير إذا احتاجت الهمم إلى السقيا، ومفتاح باب اليُمْن المجرّب إذا أعيا، وسفير الملك المحجب، وعذيق الملك المرجب، وزمام أموره السّائرة، وقائمة أجنحته الطّائرة، ومطلق

(136) مجلة المورد العراقية،(مج 12، ع4، ص142)، ومناظرات في الأدب، ص: 16، ولم ترد: "أما نحن" في الكتاب.

(137) مجلة المورد العراقية،(مج 12، ع4، ص146)، ومناظرات في الأدب، ص: 18.

(138) انظر: د.سامية الدريدي الحسني، دراسات في الحجاج (قراءة لنصوص مختارة من الأدب العربي القديم)، ص: 48-49.

(139) انظر: السابق، ص: 95- 99.

(140) انظر: عبدالله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص: 567.

أرزاق عفاته المتواترة[141]"، فهذه حجج متتابعة يسوقها القلم لنظيره السيف ممتطيا صهوة الخطاب الاستعاري المدعم لحججه، مزدانا أسلوبه بالسجع، مما أعطى الحجج قوة، والتأثير على المتلقّي أقوى وأبلغ.

وكذلك السّيف فقد كانت حججه مدعومة بالاستعارة، ومقوّية مكانَته، ومدعّمة موقفه، يقول في إحدى حججه في إعلاء مكانته: "كم مدَّ فأدرك الطلاّب، ودعا النّصر بلسانه المحمر من أثر الدّماء فأجاب[142]"، فهي حجج تساق بمزيج من الاستعارة، والسّجع حتى تكون أبلغ، وذات أثر أجدر وأقوى، "فالاستعارة آليّة تواصليّة قبل أن تكون آليّة زخرفة وتزيين، وآلية حجاجيّة قبل أن تكون آلية إخبار وإبلاغ، وآلية تفكير وتأمل قبل أن تكون آلية تخييل وتصور، وآلية تغيير قبل أن تكون آلية وصف وتجريد[143]"، ويستخدم المخاطب تقنية الاستعارة في كونها أبلغ تأثيرا في المتلقّي من الأسلوب المباشر الحقيقي، فهي أسلوب بلاغي حجاجيّ تتصدّر مكانة ضمن القيم الإبلاغيّة الإقناعيّة[144]، وهي بذلك تسهم في بناء الخطاب الحجاجيّ الإقناعيّ، وتعدّ آليّة من آليات الحجاج، ومكوّنا رئيسا في القول الحجاجي[145]، وتأتي حجاجية الصّورة (التشبيه/ الاستعارة) من خلال استعمالها معاني

(141) مجلة المورد العراقية،(مج 12، ع4، ص128)، ومناظرات في الأدب، ص: 5- 6، وجاءت كلمة: "مجداح" بدل: "مخارج"، و"الهمم" بدل: "الأمم"، و"قادمة" بدل: "قائمة".

(142) مجلة المورد العراقية،(مج 12، ع4، ص132)، ومناظرات في الأدب، ص: 9، وقد جاءت كلمة: "قد" قبل: "مدّ".

(143) علي محمد علي سلمان، كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج- رسائله نموذجا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، مملكة البحرين، 2010م، ص: 273.

(144) انظر: عبدالجليل العشراوي، الحجاج في الخطابة النبوية، عالم الكتب الحديث، ط:1، إربد، الأردن، 2012م، ص: 66.

(145) انظر: حجاجية الحكمة في الشعر الجزائري الحديث، (رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في اللسانيات التداولية)، بوخشة خديجة، إشراف أ.د.بن عيسى عبدالحليم، السنة الجامعية1435-1436هـ، 2013-2014م، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة وهران، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها.

غير معتادة، ممّا قد يؤدّي إلى إثارة أزمة داخل الخطاب، وتنتهي بشدّ الانتباه من خلال خرق المعتاد، فتطبع الذّكرى في الذّهن، ويسهل تلاؤمها مع المتلقي[146]، ولا بدّ أنْ ندرك أنَّ فعالية هذه الحجة –الصورة- وتأثيرها في المتلقّي تتوقّف على نجاحها في تهيئته إلى قبول الأطروحة الملقاة عليه، ومدى اقتناعه بها[147].

2- حجاجيّة التضادّ:

ويمكن أنْ نصطلح عليها بالتقنية الضدِّية، إذْ يستعمل المخاطب بعض الأشكال البديعية، ولا يقف دورها على الشكل وحسب، بل إنَّ لها دورا حجاجيًّا يهدف إلى الإبلاغ والإقناع والتأثير، وتجاوز التكلّف الذي ينافي العمليّة الإقناعيّة الحجاجيّة، والغاية من هذه الآليات القياسيّة تقريب المعنى، وإفهامه لمتلقّيه. ويؤدِّي الطّباق دورا جماليا وحجاجيّا مهمّا في الكلام، وتعود حجاجيّته إلى كونه من الفنون التي تربط الكلام ببعضه عن طريق علاقة التضادّ، فالضدُّ أقرب حضورا في البال عند ذكر ضدِّه، والكلمة تعرف من خلال ذكر ضدِّها، وفي ذلك إيضاح للمعنى وإظهاره، وتأكيده وتقويته، عن طريق المقارنة بين الضدّين، وتصوّر أحدهما بتصوّر الآخر، فهو إذْ يرد في الكلام فإنّه يعمل على تثبيت المعنى وترسيخه في عقول المخاطبين، وهذا التأكيد للضدِّ من خلال ضده هو ما يحقِّق للطّباق قوّته الحجاجيّة، ويزيد من فاعليّته وقدرته على الإقناع[148].

وقد جاءت تقنية الطّباق في مناظرة ابن نباتة كثيراً، يقول في معرض إحدى حجج القلم عندما تحدث عن نفسه مفاخرًا ومناظرًا بأنه "أنملة الهدى المشيرة إلى ذخائر الدنيا والآخرة[149]"، ويقول: "وصاحب

---

(146) انظر: د.هاجر مدقن، حجاج التمثيل في الآداب السلطانية، مقاربة تداولية لكتاب "كلية ودمنة" لابن المقفع، دار النابغة للنشر والتوزيع، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 1435هـ، 2014م، ص: 220.

(147) انظر: د. أميمية صبحي، حجاجية الخطاب في إبداعات التوحيدي، ص: 150.

(148) انظر: د. الزماني كمال، حجاجية الأسلوب في الخطابة السياسية لدى الإمام علي رضي الله عنه، ص: 177- 178.

(149) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص128)، ومناظرات في الأدب، ص: 6.

ذيل الفخار في الحرب والسلم[150]"، وعندما أراد القلم أن يبحث عن حجّة أخرى يقوّي بها موقفه قال عنه ابن نباتة: "وقام في دواته وقعد[151]"، فهي الوسيلة التي يغذِّي بها موقفه قائما قاعدا.

ويقول السّيف محتجّا: "فليت شعري كيف جسرت وحسرت وعبست على مثلي ونشزت، وعارضتني وأنا القويّ وأنت الأضعف...وأنت السوقة وأنا الملك، وأنا الصادق وأنت المؤتفك... وأنت لصون الحطام، وأنا لصون الممالك... وأنا الباصر وأنت الأرمد[152]"، وهكذا يقوم الطّباق بوظيفة حجاجيّة توضّح المعنى، وتحسِّن وقوعه في ذهن القارئ، وتجعل الدّلالة ذات تأثير وإقناع، إذْ يجمع الطباق بين معنيين متضادين، وهذا يبيّن موضع الطّباق في الحجاج، وقيمته الإقناعية[153].

وتعدُّ المقابلة ذات قيمة حجاجية من خلال التأثير في المخاطب أثناء إيراد جمل متقابلة، ومن ذلك قول ابن نباتة في حجاجيّة السيف، وفخره بكونه وسيلة حربيّة أرست قواعد الإسلام، وأعطته هيبته ومكانته: "فأما الحقّ فمكث، وأمّا الباطل فذهب جفاء[154]"، مع ما في العبارة من اتّكاء غير مباشر على الأسلوب القرآني الكريم، ويقول في حجّة أخرى: "وأنا المخدوم الأبيض، وأنت الخادم الأسود[155]"، ومن خلال الجمل المتقابلة تتّضح مكانة صاحب الحجّة، نظير ما يعقده من مقارنة بين نظيرين.

---

(150) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص130)، ومناظرات في الأدب، ص: 7، وقد وردت: "ذيلي"، بدل: "ذيل".

(151) مجلة المورد العراقية،(مج 12، ع4، ص134)، ومناظرات في الأدب، ص: 10.

(152) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص138)، ومناظرات في الأدب، ص: 13، وقد سقطت كلمة: "وحسرت"، وجاءت: "بسرت" بدل: "نشزت".

(153) انظر: د. عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي، ص: 297.

(154) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص131)، ومناظرات في الأدب، ص: 8.

(155) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص138)، ومناظرات في الأدب، ص: 14.

3- حجاجيّة الجناس:

تنبّه العرب منذ القديم لوظيفة الجناس الحجاجيّة، إذِ اعتبره ابن حمزة العلوي "من ألطف مجاري الكلام، ومن محاسن مداخله، وهو من الكلام كالغرة في وجه الفرس[156]"، وهو من الأساليب البديعية التي تؤثّر في السّامع، وتؤدِّي إلى قبول الكلام، فالجناس يضع المتلقّي أمام لفظة مكرّرة لكنّها تحمل معنى جديدا تكسبه لذّة وإيقاعا، وتجعل الطرف الآخر يصغي للمعاني ويرتاح لها، فيتحقّق هدف الحجاج، فهو يثري حجج المناظر ويدعمها من جهة الوقع في النّفس، وقبول ما يُلْقى عليها من معان[157].

وقد كثر الجناس في مناظرة ابن نباتة، واتّكأ عليه في كثيرٍ من الحجج والبراهين عند طرفي المناظرة، فالقلم يقول مفتخرا: "به رقم كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم التي تهذِّب الخواطر الخواطل، فبينه وبين مَنْ فاخره الكتاب والسنَّة، وحسبه ما جرى على يده من منَّة[158]"، فالجناس بين لفظتي: "الخواطر والخواطل"، وإيراد الكلام على هذا الجرس الموسيقيّ من خلال كلمتين متشابهتين في الحروف مختلفتين في المعنى يؤثر في نفسية المتلقي، ويجعله مرتاحًا لما يُلقى عليه من معانٍ يرغب الطرف الآخر بإيصالها له.

ويسوق السيف حجّة تشي بمكانته القوية، متّكئة على الجناس: "ورأى إلى الخصام يجنح، ولسان يحوجه اللّدد إلى أنْ يخرج فيجرح[159]"، ويتّضح أنَّ "البعد الحجاجي للجناس يكمن في هذا الاكتشاف، ذلك أنَّ الجناس كلام ذو معنى واحد في الظاهر ومعنيين في الباطن، وعملية اكتشاف المعاني والانتقال بينها هي ما يكفل للجناس قوّته

(156) يحي بن حمزة العلوي، الطراز، مكتبة المعارف، الرياض، د.ت، ج:2، ص: 355.

(157) انظر: د. عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي، ص: 302.

(158) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص128)، ومناظرات في الأدب، ص: 6، وقد جاء الفعل: "يفاخره" بدل "فاخره"، وكذلك: "يده الكريمة". ومعنى الخواطر الخواطل: أي الفاسدة.

(159) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص134)، ومناظرات في الأدب، ص: 10، واللّدد: الخصومة.

الحجاجيّة، ويزيد من فعالية تأثيره في المخاطب من خلال الوقوف على حقيقة المعاني الكامنة وراء هذا التشابه الصوتي(160)".

4- حجاجيّة السّجع:

للسّجع أهميّة بالغة في فنون القول، وقد جعلَته يحتلّ "أرفع مراتب الكلام وأعلاها، وأجل علوم البلاغة وأسناها(161)"، إذْ لولا أهميته البلاغية والحجاجية لما وجدنا أنَّ فنون القول تحفل به، إذْ لا تخلو منه خطبة أو رسالة أو وصية أو مقامة أو مناظرة، وتأتي حجاجيّة السّجع من خلال ما يقدِّمه من وظائف تتمثَّل في حفظ الكلام المسجوع، والتلذُّذ بسماعه، والأنس له، وقبوله للنفس بفضل توافق فواصله، واتّساقها الصوتي مما يجعل النفس تنجذب لسماعه، وتميل إليه كل الميل من خلال حفظه والتّمثل به، والعمل بمحتواه، ولذلك فإنه يعدُّ عنصراً حجاجيًّا وإقناعيًا يساهم بشكلٍ كبيرٍ في إثارة عواطف المخاطب واستمالته، وتأجيج عواطفه وتشويقه، وإثارة انفعالاته، حيث إنَّ الإثارة والتشويق رافدان أساسيان من روافد الحجاج(162)، وهذا الكلام يصدق على المناظرة بين السّيف والقلم، إذْ نجد هيمنة مطلقة للسّجع فيها، وما ذلك إلَّا لإدراك ابن نباتة دوره الحجاجي في إقناع مخاطبيه وحملهم على تصديق كلامه، يقول في معرض حجاجيّة القلم: "فلما وعى القلم خطبته الطّويلة الطّائلة، وبسطته الجليلة الجائلة، وفهم كنايته وتلويحه، وتعرضه بالذّم وتصريحه، وتعديله بالحديث وتجريحه، استغاث باللفظ البصير، واحتدّ وما أدراك ما حدّة القصير(163)".

---

(160) د. الزماني كمال، حجاجية الأسلوب في الخطابة السياسية لدى الإمام علي رضي الله عنه، ص: 175.

(161) يحيى بن حمزة العلوي، الطراز، ج: 3، ص: 28.

(162) انظر: د. الزماني كمال، حجاجية الأسلوب في الخطابة السياسية لدى الإمام علي رضي الله عنه، ص: 185- 189.

(163) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص134)، ومناظرات في الأدب، ص: 10، ووردت كلمة: "ونشطته" بدل: "وبسطته"، و"تعريضه" بدل: "وتعرضه"، و "في الحديث" بدل: "بالحديث"، و"النصير" بدل: "البصير".

وفي حجج السّيف – أيضاً- اتّكأ على السّجع كثيراً، يقول: "أمّا بعد: فإنَّ السّيف زند الحق الوري، وزنده القوي، وحدّه الفارق بين الرّشيد والغويّ[164]"، ويسوق السيف حجّة أخرى لإعلاء مكانته عند سلطة الدولة: "واتخذته الملوك حرزًا لسلطانها، وحصنًا على أوطانها وقطانها[165]"، ويقول عن نفسه: "فكان للرائد مربعا، وللمارد مصرعا[166]"، ويقوم الخطاب المسجوع بمهمّة التّوازن والتّناسب واعتدال الكلام، وهي تجري على نسقٍ واحدٍ من الترتيب، يجتذب انتباه المتلقّي ويطرب أسماعه، حيث إنَّ الأسجاع مشهود لها بالتأثير واستدراج الجمهور إلى الاقتناع، وخاصة إذا جاءت من غير تكلف، مما يجعل الباثّ يأتي على حاجاته بالكلام المتخير، لما فيه من طاقة إيقاعيّة وإقناعية يكون تأثيرها على النّفس أكثر، وقبولها لدى المتلقي أكبر، إذْ تكون حجّة لدى سماعه لها[167].

ب) الإستراتيجيات الأسلوبيّة:

يعدُّ الأسلوب وسيلة فنّية - بلاغيّة ذات وظيفة حجاجيّة تهدف إلى إقناع المتلقّي بفكرةٍ من الأفكار أو معنى من المعاني، فالأسلوب يضطلع بالحجاج كما أنَّ الحجة تتّسم بمجموعة من الخصائص التي تقرّبها من الأسلوب، وهذا التّلازم بين الحجاج والأسلوب هو الذي يشكِّل جوهر

(164) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص131)، ومناظرات في الأدب، ص: 8.

(165) مجلة المورد العراقية، (مج 12،ع4، ص132-133)، ومناظرات في الأدب، ص: 9.

(166) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص133)، ومناظرات في الأدب، ص: 10، وجاء فيه: "فكان للمارد مصرعا، وللرّائد مرتعا".

(167) انظر: د. الحسين أيت مبارك، قراءة حجاجية في خطاب الملك الراحل محمد الخامس خطاب طنجة 10 أبريل 1947، ضمن كتاب: التحليل الحجاجي للخطاب، ص: 357.

البلاغة الحديثة[168]، وذلك من خلال إستراتيجيات مختلفة ومتنوّعة تتمثّل فيما يلي:

1- حجاجيّة التّكرار:

والمقصود به: تَكرار كلمة أو لفظ أكثر من مرّة في سياقٍ واحدٍ لنكتة ما، وذلك إما للتوكيد، أو لزيادة التنبيه، أو للتهويل، أو للتعظيم[169]، ويسمّيه بعضهم تقنية الإلحاح والتركيز والمبالغة في التأكيد، فلا تكفي مجرد الإشارة؛ بل لا بد من التكرار واستحضار التفاصيل، وإيراد الحكايات لرفع درجة حضور المعطى في ذهن المخاطب، إذْ إنَّ دور التكرار الحجاجي في تأكيد قصد المحاجج لإقناع السامع والتأثير فيه[170]، فالتّكرار من الأساليب البلاغية والآليات الحجاجيّة القويّة، التي تأتي لتقرير المعنى وتأكيده، والمقصود به هنا هو التّكرار المبدع الذي يدخل ضمن عملية بناء النّص أو الكلام، وهو أيضاً التكرار الذي ينسجم مع النّص[171]، فهو آلية حجاجيّة استخدمها ابن نباتة في مناظرته، وقد استحضرها السّياق، وناسبها المقام لتحمل المخاطب على إقناع المتلقّي بالفكرة التي يريد إيصالها له، وترسيخها في ذهنه من خلال النتيجة التي آلت إليها المناظرة من أهميّة القلم والسّيف معا.

ويوظِّف التَّكرار من أجل تأكيد الحجّة على المأمور به، فهو يجعل إعادة الكلام وتكراره بمثابة الحجّة التي يحتج بها على المخاطب الجانح إلى الرفض والإخلال والتقصير[172]، فالتّكرار يساعد على إظهار الحجّة، ويشدّ انتباه المتلقّي، ويهيمن على تركيزه، بما يجعل منه بنية

(168) انظر: د. الزماني كمال، حجاجية الأسلوب في الخطابة السياسية لدى الإمام علي رضي الله عنه، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، إربد، الأردن، 2016م، ص: 5- 6.

(169) انظر: ابن معصوم المدني، أنوار الربيع في أنواع البديع، تحقيق: شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان، 1389هـ، 1969م، ج5، ص: 345.

(170) انظر: عبداللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص: 90.

(171) انظر: أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، ص: 49.

(172) انظر:أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص: 156.

حجاجيّة تربط النصّ بما يقصده الباثّ في خطابه[173]، ويتجلّى ذلك في التكرار الذي ساقه ابن نباتة في احتجاج القلم ضدَّ نظيره السّيف، وتجريده من صفة الرّحمة حيث قال: "قد سُلِبت الرحمة، وإنّما يرحم الله من عباده الرحماء[174]".

وكذلك السّيف لجأ إلى حجاجيّة التكرار في قوله: "وللأذهان السّانحة غمرة بعد غمرة[175]"، وفي ختام المناظرة يصف الرّاوي حال القلم وهو البادي بالجدل والاحتجاج: "وعلم أنَّ الدّهر دهره، والقدر على حكم الوقت قدره[176]"، فالتكرار ليس مجرد أصوات تتردد؛ بل هو آلية حجاجيّة تعطي الكلمات نوعا من القوّة، وكما أنَّ التكرار يمنع غفلة المتلقّي، ويقرر لديه مقاصد بعينها، فإنّه يحرك انفعالاته ويثير عواطفه[177]، ويحقّق التكرار للنصّ قدرا كبيراً من القدرة على الإقناع، ويرتقي به إلى أقصى درجات القوّة الحجاجيّة، ويضعه في أعلى السلّم الحجاجي على رأس باقي النّصوص الأخرى[178].

2- حجاجيّة الاستفهام:

(173) انظر: د. مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق على السور المكية، كلمة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، تونس، 1436هـ، 2015م، ص: 156.

(174) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص136)، ومناظرات في الأدب، ص: 12.

(175) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص134)، ومناظرات في الأدب، ص: 10، وجاءت كلمة "السّابحة" بدل "السّانحة".

(176) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص141)، ومناظرات في الأدب، ص: 15.

(177) انظر: د. عادل عبداللطيف، الحجاج في الخطابة السياسية، خطبة معاوية بن أبي سفيان نموذجا، ص: 164.

(178) انظر: د. الزماني كمال، حجاجية الأسلوب في الخطابة السياسية لدى الإمام علي رضي الله عنه، ص: 168.

يكتسي الاستفهام قيمة حجاجية كبيرة[179]، إذْ إنّه "ركيزة أساسيّة في الجدل[180]"، وهو أسلوب لغوي يستهدف طلب الإفهام، وضمّنه البلاغيون في الإنشاء الطلبي، ومنه الحقيقي، ومنه المجازي، حيث يكون المستفهم عالماً بالجواب، عارفاً له ولكنه يقصد معنى آخر يفهم من السّياق، وهذا النوع يحمل شحنة حجاجيّة، إذْ يستجلب المتلقّي ويشركه في عملية التواصل، فيؤدِّي بذلك الاستفهام وظيفة أسلوبية حجاجية تستهدف إقناع المتلقّي من المعاني الجديدة غير معنى الاستفهام كالدّعاء والأمر والإنكار[181]، وهو بذلك يحمل قيمة حجاجيّة قويّة[182]، من خلال الملفوظات الاستفهاميّة الواردة ضمن السّياق الحجاجي في موقع الحجة، حيث تقوم بتحويلها من صيغة الاستفهام إلى صيغة النفي[183]، ويحضر السّؤال في المناظرات بشكل كبير، فهو علامتها المميزة، فتغدو معه المناظرة استفهامًا كبيرًا يتجاذبه الطّرفان، حتّى إنّه ليتحوّل من طلب معرفة أشياء لم تكن حاضرة وقت الطّلب إلى وسيلةِ إثبات قضايا أو نقضِ أخرى، فالمناظرة تُبنى على السّؤال؛ بل إنَّ السّؤال في المبادلات الكلامية هو ما يميّز المناظرة من الأشكال الخطابيّة الأخرى التي تتّخذ من الحجاج وسيلة لبلوغ الهدف، وفي تداوليات الخطاب يخرج الاستفهام عن طبيعته الاستخبارية ليصير فعلاً كلامياً ذا قوة إنجازية، فتتولَّد عنه معانٍ تتحدَّد تبعاً للسّياق، وللغرض الذي يقصده المتكلّم، ويتحوَّل الاستفهام من مجرّد أسلوبٍ كلامي إلى فعلٍ كلامي، إذْ لا ينظر في

(179) انظر: د. علي المتقي، حجاجية الخطاب القرآني: قصة نوح عليه السلام، ضمن الكتاب الخاص بالدورة التكوينية الثانية في موضوع: بلاغة الحجاج وتحليل الخطاب، ص: 66.

(180) سراب الرحموني، الحجاج في بنية كتاب "طوق الحمامة في الألفة والألاّف" لابن حزم، ص: 125.

(181) انظر: د. محمد لشهب، الروابط الحجاجية في المقامة: مقامة النحو للزمخشري نموذجا، ضمن كتاب: التحليل الحجاجي للخطاب، ص: 460.

(182) انظر: عمارة الناصر، الهرمينوطيقا والحجاج، منشورات ضفاف، لبنان، منشورات الاختلاف، الطبعة الأولى، الجزائر، 1435هـ، 2014م، ص: 99.

(183) انظر: رشيد الراضي، المظاهر اللغوية للحجاج: مدخل إلى الحجاجيات اللسانية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 2014م، ص: 96.

المنظور الأسلوبي إلى حروف المعاني على أنّها مجرد دلالاتٍ ومضامين لغوية؛ بل يمكن للمتكلّم أنْ يقوم بتوظيفها قصد التّأثير في المخاطب ولحمله على فعلٍ أو ترك فعل، أو تقرير حكم من الأحكام، أو تأكيده، كما تكتسي صيغ السّؤال بُعْداً أسلوبيا لا يكتسبه غيرها من الصّيغ بسبب القيمة الحواريّة التي تضفيها هذه الحروف على المبادلات الكلامية بين المتحاورين في القضايا المختلف حولها وخاصّة في المناظرات(184)، فالاستفهام من الوسائل اللغويّة الحجاجيّة التي تستخدم في أيِّ مواجهة تجري بين طرفين، وأداة المناظرة الكفيلة بمساءلة اعتقادات الآخر واستجواب قناعته(185)، ويعدُّ الاستفهام الإنكاري أقوى أنواع الاستفهام حجّة، إذْ إنَّ غرضه الإثبات والتّقرير، وليس انتظار الجواب من المخاطب(186). وقد استخدم ذلك ابن نباتة في حجج القلم عندما قال: **"أعلى مثلي تسبق القول، وترفع الصوت والصول؟!**(187)**"**.

ويقول القلم معرِّضا بالسيف: **"**فكم هيّجت سنّة حمراء، وأثرت دهماء، وخمشت الوجوه وكيف لا وأنت كالظّفر كونا، وقطعت اللذات ولم لا وأنت كالصّبح لونا، أين بطشك من حلمي، وجهلك من علمي، وجسمك من جسمي؟!(188)**"**، ويتابع القلم حججه، ويضغط على السّيف بالاستفهامات المتتابعة قائلا: **"**أين عينك الزّرقاء من عيني الكحيلة، ورؤيتك الشّنعاء من رؤيتي الجميلة؟! أين لون الشّيب من لون الشّباب؟! وأين نذير الأعداء من رسول الأحباب؟!(189)**"**، كما أنَّ السّيف اتّكأ على

---

(184) انظر: د. نور الدين اجعيط، مناظرة علي للخوارج مقاربة تداولية، ص: 398- 400.

(185) انظر: عادل عبداللطيف، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص: 207.

(186) انظر: د. مليكة ناعيم، المقصد الحجاجي في النقد النحوي: قراءة في نص لأبي حيان الغرناطي، ضمن كتاب: التحليل الحجاجي للخطاب، ص: 714.

(187) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص135)، ومناظرات في الأدب، ص: 11، وجاءت كلمة "يشق" بدل "تسبق"، و"يرفع" بدل "ترفع".

(188) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص136)، ومناظرات في الأدب، ص: 12، وجاءت كلمة: "سبّة" بدل "سنّة".

(189) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص136)، ومناظرات في الأدب، ص: 12.

الاستفهام الإنكاري في توجيه الخطاب للقلم قائلا: "أولستَ الذي طالما أرعش السّيف بالهيبة عطفك، وعطف للخدمة رأسك وطرفك، وأمر بعض رعيته وهي السّكاكين فقطع قفاك وشقّ أنفك، ورفعك في مهمات خاملة وحطّك، وجذبك للاستعمال وقطّك[190]"، ويوجّه السّيف سؤالا إلى القلم عن مكانته بالنّسبة إليه قائلا: "أين أنت عن حظّي الأسنى، وكفّي الأغنى؟![191]"، وفي حجّة أخرى يقول السيف: "كم برزت فما أغنيت في مهمّة، وكم خرجت من دواتك لتسطير سيئة فخرجت من ظلمة إلى ظلمة؟![192]"، كما يخاطبه مقلّلا من حجمه ومكانته: "وهل يُفارق من وقف الموتُ ببابه؟![193]".

3- حجاجيّة التعجّب:

يعدُّ التعجّب من أنجع التقنيات الحجاجيّة. ذلك أنّه يثير الشّبهة لدى المتلقّي، ويجعله في حيرة من أمره ومن دعاويه، فيبدأ بتلقي خطاب المتكلّم، وتصبح الحجج التي تُلْقَى عليه ذات تأثير أبلغ وأنجع، وقد استخدم ذلك ابن نباتة على لسان القلم عندما قال: "فما أقبح شبهك! وما أشنع يوماً ترى فيه العيون وجهك![194]"، فهو بهذه الإستراتيجية يحجم من مكانة نظيره، ويدحض حججه، ويقلّل من مكانته.

وفي محاولة تبرير القلم لونه الأسود يلجأ إلى لون الحجر الأسود ليتعجّب منه، ويتّخذه حجّة داعمة له، تقف في صفه، لتعلي من مكانته: "وكذلك تعييبك سواد خلقي التي أكسبها الحبّ حلية صبغت صبغة حب

(190) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص138)، ومناظرات في الأدب، ص: 13، ووردت كلمة: "للهيبة" بدل "بالهيبة"، و"نكس" بدل "وعطف"، وهو السّكين" بدل "وهي السّكاكين".

(191) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص140)، ومناظرات في الأدب، ص: 14، وجاءت "من" بدل "عن".

(192) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص140)، ومناظرات في الأدب، ص: 14، وفيه: "فخرجت كما قيل".

(193) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص133)، ومناظرات في الأدب، ص: 10، وفيه جاء: "يفاخر من وقف الموت على بابه".

(194) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، هامش رقم (178)، ص135)، ومناظرات في الأدب، ص: 11.

القلوب والحدق، فيا لله، والحجر الأسود من هذه الحجّة القاصرة، والكرة الخاسرة!"[195].

ولم يخل احتجاج السّيف من الاتّكاء على التعجّب، إذْ أشار إلى مكانته منذ القدم، في أخبار الفرسان والمعمّرين قائلا: "وما أجمل ذكره في أخبار المعمرين ومقاتل الفرسان!"[196]، فهو يثني على نفسه، وما يتمتّع به من سيرة حسنة، أعلت من شأنه، ورفعت من قدره.

ويتّضح من خلال الاحتجاج بالتعجّب سرعة نفاذ الكلام الذي يريد أنْ يوصله الباثّ إلى المستمع، نظير ما يرسله من أسلوب يتوشح بالجمال، وإرساء الفكرة في الذهن، والاقتناع بها، مدعوما ذلك بالإشارات المصاحبة للخطاب، وتعابير الوجه التي تظهر على المتعجب في حديثه، وكذا رفع الصوت أو خفضه حسب ما يقتضيه سياق الكلام، مما يجعل الطرف الآخر يذعن للأمر، ويبدأ بقبول الحجة، والاقتناع بالفكرة الملقاة عليه.

4- حجاجيّة النّفي:

النّفي أسلوب لغوي يراد به نقض فكرة وإنكارها، أو التشكيك بها، ويؤدِّي دوراً فعّالاً في الخطاب الحجاجي، فهو يقوم بإبطال آراء الخصم ودحضها[197]، ويحول القضية الخاطئة إلى صحيحة[198]، وفي الخطاب الحجاجي يتجاوز النفي وظائفه النحوية الصرفة ليصبح إنكاراً يتعقب قولا سبق ادعاؤه أو إثباته، فهو دائماً فعل ارتجاعي أوثق بالرد، وهذه الآلية تتدخّل لكشف التوهّم والمغالطة ومنازعة الخصم أطروحته أو فتح ثغرات في البناء الإقناعي الذي يستند إليه، فهي تشتغل بهدف مراجعة

(195) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص142)، ومناظرات في الأدب، ص: 16، ووردت: "عيبك" بدل"تعييبك"، و"خلقتي" بدل "خلقي"، "ويا للحجر"، بدل "والحجر"، و"البائرة"، بدل "القاصرة".

(196) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص132)، ومناظرات في الأدب، ص: 9.

(197) انظر: د. الزماني كمال، الحجاج في المناظرات الموجهة إلى أهل الكتاب، مناظرة الباقلاني لملك الروم أنموذجا، من كتاب: التحليل الحجاجي للخطاب، ص: 382.

(198) انظر: د. علي المتقي، حجاجية الخطاب القرآني: قصة نوح عليه السلام، الدورة التكوينية الثانية في موضوع: بلاغة الحجاج وتحليل الخطاب، ص: 68.

الخصم في دعواه، ومحاولة إضعافها، وإصابتها بالاضطراب، وهو بذلك يستخدم في المواجهة الاقتناعية لقلب اعتقاد الخصم والقطع مع ادعائه... وهو آلية للنقض تفتّت أسس الرأي المضاد وتدحضه، أو تنزع عنه المصداقية وتشكّك فيه، وتثبت بدله الأطروحة البديلة[199]، حيث إنَّ "ورود النفي في المناظرة باعتباره معارضة على سبيل الممانعة القائمة على نقيض مدلول الخصم يضفي الصبغة الجدلية بين المتناظرين طلبا للصّواب الذي هو مناط المناظرة وغرضها الأساس[200]".

وقد حضر النّفي في مناظرة ابن نباتة بشكلٍ أسلوبي ذا أبعاد حجاجيّة تتمثَّل في قول السّيف للقلم متهكّماً منه: "ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا[201]" وهو اتّكاء صريح على آية قرآنية، وفي معرض حجّة أخرى للسّيف يبيّن فيها أثره، وقوّة رأيه في الأمور: "لا تجحد آثاره، ولا ينكر إقراره[202]"، وهو بذلك يعتمد على الجحد والتعويض، أو النفي والإثبات من خلال إنكار رأي الخصم أو التشكيك فيه، وفي المقابل إثبات رأيه، والتسليم به تجاه الموضوع المتنازع حوله.

ويعتمد القلم على حجاجيّة النّفي في تعريضه بضعف السّيف: "ولولا تعرضك إليَّ لما وقعت في المقت، ولولا إسباتك لما كنت تصقل في كلّ وقت[203]". إنّ عامل النفي في هذه العبارات لا يدحض حجج الخصم وحسب، وإنما يفصح عن فرضيات مسلّم بها، لا تحتاج إلى مزيد من الإيضاح، لأنها مشاهدة على أرض الواقع.

5- حجاجيّة القسم:

---

(199) انظر: عبداللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص: 223- 227.

(200) أ. نور الدين اجعيط، تداوليات الخطاب السياسي، ص: 127.

(201) مجلة المورد العراقية، (مج 12،ع4، ص132)، ومناظرات في الأدب، ص: 10، وجاءت كلمة: "تستطع" بدل: "تسطع". و"تسطع" اقتباس قرآني من سورة الكهف، آية 82، و"تستطع" آية 78.

(202) مجلة المورد العراقية، (مج 12،ع4، ص132)، ومناظرات في الأدب، ص: 9، ووردت: "قراره" بدل: "إقراره".

(203) مجلة المورد العراقية، (مج 12،ع4، ص137)، ومناظرات في الأدب، ص: 12، وجاءت "إساءتك" بدل: "إسباتك".

يؤدِّي أسلوب القسم دورًا حجاجيًا مهمًا في الخطاب، إذْ إنّه يضع المتكلّم موضع الصّادق في كلامه، وفيما يريد أنْ يوصله للمتلقي، فهو يأتي لأجل إثبات الكلام وتأكيده، وقطع النزاع والجدل بين المتخاصمين، وإثبات الحجّة والدليل، وقد استخدم ابن نباتة ذلك في قول السّيف: "وأقسم بمن صيَّر في قبضتي أنواع اليمن المسخرة، وجعل شخصك وشخصي كقوله تعالى: "وجعلنا اللّيل والنّهار آيتين فمحونا آية اللّيل وجعلنا آية النّهار مبصرة" إنّك عن بلوغ شأني لأدقّ رقبة[204]"، فالقسم يربك الطّرف الآخر، ويشعره بالنقص، مما يجعل الحجة قوية تجاهه، وقبوله الرأي الآخر أقرب من رفضه، وتصديقه أقرب من تكذيبه.

ويقسم القلم في أثناء قبول الصّلح مع نظيره السّيف قائلا: "فأقسم بمن بأسه باللّيل وما وسق... ما ينبغي لنا بتلك الأنامل غير سلوك الأدب[205]"، ويؤيّد السّيف هذا الصّلح وخاصة أنه أمام حكم عادل: "وبالله ما ضلَّ صاحبكم وما غوى[206]". ومع مجيء الأسلوب القسميّ تأتي القوّة الحجاجيّة في الكلام المُلقى على الطّرف الآخر، فيكون قبوله له وأخذه به أدعى من الكلام الذي يأتي دون أيّ مؤكّد، فيكون الشّك محيطًا به، والأخذ به أقلّ وأبعد، وقد أدّى الأسلوب القسميّ إلى حدوث الرضا بين الطرفين في ختام المناظرة، وإعلان أهميتهما معا عند الملك.

6- حجاجيّة النّداء:

النّداء من الأساليب العربيّة التي اشترك فيها النّحاة والبلاغيون، وحدَّدوا لها حروفاً خاصّة به، تهدف إلى إثارة المستمع وشدِّ انتباهه إلى الكلام المرسل له؛ بغية التّأثير عليه وإقناعه بالكلام الموجّه له، وقد وظَّف ابن نباته النّداء في مناظرته، يقول على لسان القلم: "أيُّها المضرّ

(204) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص139)، ومناظرات في الأدب، ص: 14، وجاءت: "قدري لأذل رتبة" بدل: "شأني لأدق رقبة".

(205) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص144)، ومناظرات في الأدب، ص: 17، وجاءت "بين تلك" بدل: "بتلك".

(206) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص147)، ومناظرات في الأدب، ص: 19، وجاءت: "وتالله" بدل: "وبالله".

بطبعه، المغرّ بلمعه، النّاقض حبل الأنس بقطعه[207]"، ويقول على لسان السّيف مهدِّدا نظيره القلم، ومقلِّلا من مكانته: "أيّها المتطاول على قصره، والماشي على طريق غرره، والمتعرض مني إلى الدّمار[208]"، وإن كان في أسلوب النّداء تخصيص لمن تمَّ توجيه الخطاب له، إلا أنّه يتعدّاه إلى كلّ المخاطبين، مع دعوتهم وتنبيههم إلى أهميّة الكلام اللاّحق ومن ثمّ إقناعهم بفحواه[209]، من خلال ما يقوم النّداء به من تحريك عوامل الشّوق في المتلقي، ودفعه إلى التفكير فيما يسمعه من كلام، وقبوله له.

وقد جاء النّداء في هذه المناظرة مدعوما بالأداة "أيّ"، وهي لنداء القريب، وتناسب المقام حينئذٍ، نظرا لوقوف المتناظرين أمام بعض، فيوجّه النظير كلامه إلى الطّرف الآخر، ليسمع قوله في القضية المتناظر حولها، فيأخذ بها وفقًا لقدرة الباثّ في التأثير والإقناع.

7- حجاجيّة التّضعيف:

يقوّي التضعيفُ الحجةَ التي يرد في أثنائها، إذْ يجعل الكلام ذا شأنٍ وقوّة، ومدعاة إلى التّأثير في نفس السّامع، واستمالته إلى الكلام الملقى عليه بهدف إقناعه والتّأثير فيه؛ نتيجة لوقوع الجرس الموسيقيّ على أذنه، يقول ابن نباتة في معرض حجاجيّة القلم: الحمد لله الذي علَّم بالقلم، وشرَّفه بالقسم، وخطَّ به ما قدَّر وقسم[210]"، وفي حجّة أخرى للقلم يقول: "طالما ذبَّ عن حرمها فشدَّ الله أزره. ورفع ذكره[211]"، وهو بذلك يسوق حججه بكلمات مشدّدة الأحرف، ممزوجة بالسّجع، (علَّم/ شرَّف/ خطَّ/ قدَّر)، (ذبَّ/ فشدَّ) حتى تكون أكثر قوّة وهيبة، وتأثيرها على الطرف الآخر أبلغ وأقوى.

---

(207) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص134)، ومناظرات في الأدب، ص: 11، وجاءت: "المعتزّ" بدل: "المضرّ"، و"المغترّ" بدل: "المغرّ".

(208) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص137-138)، ومناظرات في الأدب، ص: 13.

(209) انظر: د. محمد لشهب، الروابط الحجاجية في المقامة: مقامة النحو للزمخشري نموذجا، ضمن كتاب: التحليل الحجاجي للخطاب، ص: 454.

(210) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص128)، ومناظرات في الأدب، ص: 5.

(211) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص129)، ومناظرات في الأدب، ص: 7.

8- حجاجيّة القصر:

تتّضح الأهميّة الحجاجيّة لأسلوب القصر من خلال الغرض الذي تؤدّيه الأداة. ذلك أنها تقصر الكلام على شيءٍ ما، ومفهوم ذلك نفيه عمّا سواه، وقد استخدم هذه التّقنية ابن نباتة في حجّة القلم ضدّ خصمه عندما قال: "قد سُلِبْتَ الرّحمة، وإنّما يرحم الله من عباده الرّحماء[212]"، وبذلك تقلّ مكانة السّيف عند جمهوره، نظرا لانتزاع الرحمة من قلبه، وعدم تميزه بهذه الميزة التي اتّصف بها الخالق سبحانه، وميَّز بها صنفًا من عباده وهم الرّحماء، وفي المقابل ترتفع أسهم نظيره القلم، نتيجة انخفاض قيمة الطرف الآخر. ويمدح القلم نفسه في مقام آخر، ويُعْلي منزلته قائلا: "وإنْ علت أسرة الكتب فإنّما هو فلكها، وإنْ رقمت برود الألفاظ فإنّما هو جلالها، وإنْ تشعّبت فنون الحكم فإنّما إليه مآبها ومالها، وإنْ تقسّمت أمور الممالك فإنّما هو عصمها وثمالها... وإن اجتمعت رعايا الصنائع فإنّما هو إمامها المتلفع بسواده، وإنْ زخرت بحار الأفكار فإنّما هو المستخرج درّها من ظلمات مداده[213]"، وقد أثبت القصر في هذه التراكيب أهمية القلم وأثره الرئيس في المعاني التي يتحدّث عنها من خلال الأداة "إنما"، فكانت حججا قوية له، ووسيلة مقنعة لإعلاء مكانته.

وفي المقابل فإنَّ السّيف يستخدم إستراتيجيّة القصر في حجّته التي قلَّل فيها من شأن نظيره القلم: "لما كنت منّي إلاّ بمنزلة المدرة من السّماك الرامح والبعرة على تيار الخضمّ الطافح[214]"، ويتضح أنَّ إستراتيجية القصر تؤدّي دوراً حجاجياً مهما في الخطاب، يجعل السّامع واقعاً تحت تأثير كلام لا يحتمل إلا معنى ضيقاً يستدعي تصديقه والتسليم به، والإذعان إليه.

---

(212) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص136)، ومناظرات في الأدب، ص: 12.

(213) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص128-129)، ومناظرات في الأدب، ص: 6، وجاءت "ملكها" بدل: "فلكها"، و"البيان" بدل: "الألفاظ"، و"مآلها" بدل: "مآبها"، و"إذا انقسمت" بدل: "إن تقسّمت"، و"دررها" بدل: "درّها".

(214) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص140)، ومناظرات في الأدب، ص: 15، وجاءت كلمة: "فما" بدل: "لمّا".

9- حجاجيّة الضّمائر:

تعدُّ الضّمائر من الأصوات الحجاجيّة التي تؤمِّن التّفاعل والاختلاف والانسجام بين المواقف في الخطاب الحجاجي، فهناك صوت المتكلّم المدافع عن قضيةٍ ما، وصوت آخر معارض له[215]، ونلاحظ أنَّ ضمير المتكلم "أنا"، وكذلك المخاطب "أنت" هما البارزان في مناظرة ابن نباتة، وذلك من أجل إبراز كلّ واحد من المتناظرين – السّيف والقلم – نفسه، وإظهار مكانته مقارنة بخصمه، وهو بذلك يتبنى وسيلة حجاجيّة في عملية الإقناع، وبذلك يتمّ التفاعل بالادعاء أو الاعتراض، بالإثبات أو النفي، ومن ذلك قول ابن نباتة على لسان القلم: "أنا وأنت للملك كاليدين[216]"، وفي موضع آخر يقول القلم: "أتفاخرني وأنا للوصل وأنت للقطع، وأنا للعطاء وأنت للمنع، وأنا للصّلح وأنت للضّراب، وأنا للعمارة وأنت للخراب[217]"، ويقول السّيف محتجا: "أنت السّوقة وأنا الملك، وأنا الصّادق وأنت المؤتفك...وأنت لصون الحطام، وأنا لصون الممالك...وأنا الباصر وأنت الأرمد[218]". وهذه الضمائر تشي بمدلول حجاجي غرضه إثبات مكانة المتكلّم، وفخره بنفسه، واعتداده بها من خلال الضمير "أنا"، والتقليل من شأن الطّرف الآخر، وهو المخاطب عن طريق الضمير "أنت".

10- حجاجيّة الحوار:

الحوار أسلوب لغوي مهمٌّ، وسببٌ رئيسٌ في حيويّة الخطاب وتدفّقه، فتتنوّع من خلاله الأساليب الخطابية، وتبتعد عن الرّتابة والملل. ويمثّل الحوار أهمّ أشكال التّفاعل اللّفظي، وهو المجال الخصب الذي يقع فيه الحجاج بدرجة عالية، وله أشكال متعددة، تتمثّل في الحوار الصريح،

---

(215) انظر: د. عبداللطيف عادل، الحجاج في الخطابة السياسية: خطبة معاوية بن أبي سفيان نموذجا، الدورة التكوينية الثانية في موضوع: بلاغة الحجاج وتحليل الخطاب، ص: 153.

(216) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص142)، ومناظرات في الأدب، ص: 16.

(217) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص135)، ومناظرات في الأدب، ص: 11.

(218) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص138)، ومناظرات في الأدب، ص: 13.

والمضمر، والأفقي، والعمودي... ونصّ المناظرة المستهدف في هذه الدراسة أتى على شكل حوارٍ صريحٍ مباشر، وهو ما نجده في قوله: قال القلم، قال السّيف. وهو حوار خارجيّ تمثّل بين طرفين متناظرين، وهذا النوع أكثر فاعلية في المناظرة من الحوار الداخلي بين الفرد ونفسه، إذْ من خلاله يتجاذب الطرفان الحوار، ويبحث كلّ نظير عن إقناع نظيره الآخر بحججه وبراهينه.

وقد أعطى الباثُّ الفرصةَ لكلٍّ منهما ثلاث مرات في تعاقبٍ عادلٍ بينهما، ليتحدّث كلٌّ عمّا يريد إثباته أو نفيه إزاء القضية المطروحة، وفي تنوّع الأصوات في المناظرة وتعدّدها من خلال الحوار، وعرْض كل طرف رأيه في القضية المطروحة فإنّ الخطاب يرقى إلى أعلى، ويبتعد عن الملل والسآمة، مع الإشارة إلى أهمية اللّغة في هذا الجانب، وهذا سرُّ التأثير لهذا الأسلوب من خلال قدْرة المناظر على إقناع الطرف الآخر بحججه وأدلته. فالأسلوب الحجاجيّ أكسبه قوّة حجاجيّة كبيرة، وجعلنا ندرك الوظيفة الحجاجيّة - الإقناعية التي هي إحدى وظائف الأدب بوجهٍ عامّ[219].

11- حجاجيّة التّوكيد:

يأتي أسلوب التّوكيد لتأدية أدوارٍ حجاجيّة في مقامات معينة، ذلك أنَّ المتكلّم يجزم بكلامه عندما يوجّهه للمتلقّي، ويجزم به دون شكٍّ منه أو تردّد، وذلك من خلال أدوات تأكيديّة متنوّعة، ومن الأدوات التي جاءت في حجاجيّة السيف "قد"، إذْ يقول على لسانه: "به أظهر الله الإسلام وقد جنح خفاء، وجلى شخص الدّين الحنيف وقد طمح جفاء[220]"، وفي حجّة أخرى يقول متهكّما بنظيره القلم: "لقد تعدّيتَ طورك، وأبعدتَ في المين غورك[221]"، كما أنه يلوم نظيره القلم، ويصفه بالظّالم الذي بدأ بالانتقاص من صاحبه مؤكّدا كلامه بمؤكّدين (اللام/ قد)، يقول: "لقد

(219) انظر: د. أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، ص: 52- 54.

(220) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص131)، ومناظرات في الأدب، ص: 8، وجاءت "الحنيفي" بدل "الحنيف"، و"جمح" بدل "طمح".

(221) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص138)، وهذه الجملة ساقطة من كتاب: مناظرات في الأدب.

تظلّمت من أمرٍ وأنت البادئ بظلمه[222]"، وكلّما زادت المؤكّدات زادت درجة التّأكيد، وكانت أبلغ وأقوى في الردّ على المشكّك، وأدعى للاقتناع والأخذ بالكلام.

كما وردت المؤكّدة "إنَّ" في حجج كثيرة من الطّرفين، يقول السّيف موجّها خطابه لنظيره القلم: "إنّك عن بلوغ شأني لأدقّ رقبة، وعن برّ أكفّي لأخيب طلبة[223]"، وكذلك يؤكِّد القلم حجّته بقوله: "إنَّ القلم منار الدّين والدّنيا[224]"، ومجيء الواسم الحجاجيّ "إنَّ" في التركيب "سببٌ مباشرٌ في نشوء السيرورة الحجاجية، وهو أرقى في السلّم الحجاجيّ من الجملة الخالية منه؛ لأنه بقدر ما يؤكّد الموقّع المستدلّ على دعواه فإنّه في الآن ذاته يهدم أطروحة الخصم سواء أأكْنَنَها في نفسه أم جاهر بها[225]".

12- حجاجيّة الرّبط:

حجاجيّة الرّبط وتعرف بالرّوابط الحجاجيّة، وهي تشكِّل إستراتيجيات حجاجيّة متنوّعة، يتغيّا منها المخاطب إقناع خصمه، وتدعيم حجّته، وتقوية موقفه إزاء قضيته، وهي وحدة لغوية تربط بين قولين أو وحدتين دلاليتين أو أكثر في إطار إستراتيجيّة حجاجيّة واحدة، وتسند لكلّ قولٍ دورًا محددًا داخل الإستراتيجية الحجاجيّة العامّة[226]، وهي تتحكّم في اتّساق النّص وانسجامه، ومنها ما هو نحوي تركيبيّ، ومنها الدلالي، ومنها ما يتعلّق بالرّبط التداوليّ الذي يركّز على العلاقة التي تربط الكلّ الدلاليّ التركيبيّ من جهة، ومتداول اللغة من جهة ثانية[227]، ومن هذه

(222) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص145)، ومناظرات في الأدب، ص: 17.

(223) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص139)، ومناظرات في الأدب، ص: 14، ووردت: "قدري لأذل رتبة"، و "بري كفي".

(224) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص128)، ومناظرات في الأدب، ص: 5.

(225) د. هشام فتح، الحجاج في خطاب السخرية- التوقيعة السياسية أنموذجا، ضمن الكتاب الخاص بالدورة التكوينية الثانية في موضوع: بلاغة الحجاج وتحليل الخطاب، ص: 202.

(226) انظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص: 33.

(227) انظر: د. محمد لشهب، الروابط الحجاجية في المقامة: مقامة النحو للزمخشري نموذجا، ضمن كتاب: التحليل الحجاجي للخطاب، ص: 448.

الرّوابط: الواو، بل، لكن، حتى، لا سيما، إذن، لأن، بما أن، إذْ، حروف العطف، الظّروف، وغيرها.

ومن خلال دراسة المناظرة بين السّيف والقلم، فإنَّ أهم الرّوابط الواردة فيها (الواو)، إذْ قام بدور محوري في التوجيه الحجاجي للقول من خلال إثبات حجج كل من المتناظرين، فالقلم يحاج السّيف، ويعدد صفاته، ويبين مكانته قائلا: "فإنَّ القلم منار الدّين والدنيا، ونظام الشّرف والعليا، ومخارج سحب الخير إذا احتاجت الأمم إلى السّقيا، ومفتاح باب اليُمْنِ المجرّب إذا أعيا، وسفير الملك المحجّب، وعذيق الملك المرجّب، وزمام أموره السّائرة، وقائمة أجنحته الطّائرة، ومطلق أرزاق عفاته المتواترة، وأنملة الهدى المشيرة إلى ذخائر الدّنيا والآخرة[228]"، فأثر الرّابط في هذه الأسطر يتّضح من خلال الربط بين الحجج، ومحاولة التّأثير على المناظر والسّامع بما يجلب له الاقتناع والتّسليم بأهمية القلم ومكانته.

كما اتّكأ القلم في تقديم حججه على الرّابط "لكن". فقد قال في التّعريض بمكانة السّيف: "وشكوت الصّدأ فسقيت ولكن شواظًا من نار[229]"، وفي ذلك تحقير له، وامتهان لمكانته، ذلك أنّه يُسْقَى من لهيب النار أثناء الصّدأ، ويقوم الرابط "لكن" بتحقيق الانسجام الأسلوبيّ والحجاجيّ في المقطع الذي يرد فيه محقّقا له الانسجام الذاتي والتناغم بين أجزاء الكلام. إنّه يربط ما بعدها بما قبلها من كلام[230]، كما أنَّ وظيفة "لكن" الاستدراكية أنها تقوم "بتوجيه دلالة الملفوظ كله إلى سلب نتيجة مضمون الجملة المستدركة...وتوجيه الخطاب نحو دلالة أقوى من وجهة نظر المتكلم المستدرك، والحجّة التي تلي هذا الرابط تكون أقوى

(228) مجلة المورد العراقية، (مج 12،ع4، ص128)، ومناظرات في الأدب، ص: 5- 6، وجاءت "مجداح" بدل: "مخارج"، و"الهمم" بدل: "الأمم"، و"قادمة" بدل: "قائمة".

(229) مجلة المورد العراقية، (مج 12،ع4، ص137)، ومناظرات في الأدب، ص: 12، ووردت فيها: "بشواظ" بدل: "شواظا".

(230) انظر: د. أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، ص: 44.

من الحجّة التي قبله [231]"، فقد سلب الباث نتيجة السّقيا للسّيف؛ لأن "شواظ النّار" أقوى من "السّقيا".

وقد اعتمد القلم في حجاجه على الرابط "حتّى" في قوله: "وأخنت عليك الأيام حتّى انتعل بأبعاضك الحمار[232]"، فهي حجّة من حجج القلم القائمة على السّيف، ويحتج السّيف بقوّته وهيبته من خلال الاتكاء على الرابط "حتّى" فهو يخاطب القلم قائلا: "وفتحت باب الدين بمفتاحه حتّى دخل فيه النّاس أفواجا[233]"، وتأتي حجاجيّة "حتّى" من خلال تقديم حجج للنتيجة التي بعدها لتكون أقوى نجاعة في الحجاج، وأشمل من النتيجة الأولى، كما تعتبر النتيجة الأولى سببا للنتيجة الثانية[234]، وتقع الحجّة التي ترد بعد حتى في أعلى السّلم الحجاجي، وتسند إليها أعلى المراتب الحجاجيّة[235].

(231) انظر: د. إبراهيم أمغار، المظاهر الحجاجية في نص قصصي: "العصفور على الشجرة ولا شيء في اليد"، لأحمد بوزفور، ضمن كتاب: التحليل الحجاجي للخطاب، ص: 533.

(232) مجلة المورد العراقية، (مج12، ع4، ص137)، ومناظرات في الأدب، ص: 12.

(233) مجلة المورد العراقية، (مج12، ع4، ص131)، ومناظرات في الأدب، ص:8-9، ووردت: "بمصباحه"، بدل: "بمفتاحه".

(234) انظر: د. عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، ص: 199.

(235) انظر: د. أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص: 90- 91.

13- الإستراتيجيات المعتمدة على بنية المناقضة والتهكم والمفارقة:

النّقض يكون ضدّ الإبرام، فيقوم المخاطب بنقض ما قاله الآخر، والمناقضة في القول: أنْ يتكلّم بما يتناقض معناه أي: يتخالف(236)، وقد لجأ إلى هذه التّقنية ابن نباتة في مناظرته، إذْ قال على لسان القلم: "إذا كان نفعك يومًا أو بعض يوم، فاقطعْ عنك أسباب المفاخرة، واسترْ من نابك في هذه المكاشرة، فما يحسن للصّامت محاورة المفصح، والله يعلم المفسد من المصلح، على أنه لا ينكر لمثلك التّصدي، ولا يستغرب منه على مثلي التّعدي(237)"، وقد جمع القلم في حججه السّاخرة بين التقليل من شأن الخصم، والتهكم منه، وإيراد الحجّة مدعومة باتكاء على آية قرآنيّة: "والله يعلم المفسد من المصلح"، سورة البقرة، آية 220، مع استخدام بعض الأساليب اللغويّة كالأمر والنّفي والسّجع في تعضيد حججه، وتقوية براهينه وأدلته، ليدرك الطرف الآخر قوة نظيره، ومن ثمّ الإذعان والتسليم له.

غاية الحجاج ومآل المناظرة

إنَّ خواتيم المناظرات وغيرها من الخطابات الأدبية هي آخر ما يقع في ذهن المتلقّي ويستقرّ فيه، لذا أولاها المناظرون عناية خاصّة، وحرصوا على أنْ يركّزوا فيها حججهم ليخرجوا بنتيجة من الموضوع الذي أقيمت من أجله المناظرة، فيقوموا بتهدئة الخطاب، ومحاولة استمالة المتلقيّ ليكون راضيا بالنّتيجة، إذِ الغاية من الحجاج "تحصيل الاقتناع العلمي، ومآل المناظرة باعتبارها خطابا حجاجيا استدلاليا هو إلزام المانع أو إفحام المدعي، فإما أنْ يعجز المعللّ عن إقامة الدّليل على مدّعاه

(236) انظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1407هـ- 1987م، مادة ن ق ض، ص: 846.

(237) مجلة المورد العراقية، (مج12، ع4،ص136)، ومناظرات في الأدب، ص: 12، ووردت: "أنيابك عند" بدل: "من نابك في هذه"، و "بالصامت" بدل: "للصامت".

ويسكت عن المناظرة وذلك السّكوت هو الإفحام، وإما أنْ يعجز السّائل عن التعرّض للمعلل وذلك العجز هو الإلزام[238]".

وبالرّجوع إلى المناظرة بين السّيف والقلم لابن نباتة المصري نجد أنَّ كلا من المتناظرين قدّم حججه وأدلّته لإثبات مكانته، وبعد أنْ طال الحجاج بدا للقلم أنْ يعود إلى صوابه فهو البادئ بالحجاج، فقد جاء في المناظرة قول ابن نباتة: "فلما تحقّق القلم حرجه وفهم مقدار الغيظ الذي أخرجه، وسمع هذه المقالة التي يقطر من جوانبها الدم، ورأى أنه البادي بهذه المنافسة، والبادئ أظلم، رجع إلى خداعه، وتنحى عن طريق قراعه[239]"، ثمّ وجّه كلامه إلى نظيره السّيف معاتبًا إياه بلينٍ ورفقٍ على تمادي الخلاف بينهما وما كان ذلك بالأجدر قائلا: "أما كان الأحسن بك أنْ تترك هذا الرّفث، وتلمّ أخاك على الشّعث، وتحكم كما زعمت أنّك السّيد، وتزكو على الغيظ كما يزكو على النار الدّهن الجيّد[240]"، ثم بدأ بذكر مكانتهما العالية، وأهميتهما عند الملك: "أما تعلم أنّي معينك في تشييد الممالك، ورفيقك فيما تسلكه لنفعها من المسالك..أما أنا وأنت للملك كاليدين، أما نحن في تشييده كالركنين الأشدين[241]"، ثم بعد ذلك يظهر القلم أهميته مع نظيره السّيف قائلا: "وأمضى في الآمال والآجال سيفها وقلمها، ولا عطل مشاهد المدح من أنسها[242]"، ثمّ يعرض القلم نصيحته على نظيره، ويدعوه إلى نسيان الخصومة، واتخاذ الأدب مطيّة لهما في

---

(238) أحمد أتزكي، الحجاج في المناظرة "مقاربة حجاجية لمناظرة أبي سعيد السيرافي لمتى بن يونس، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته، 1100/2.

(239) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص141)، ومناظرات في الأدب، ص: 15، وقد وردت الجملة: "تحقق تحريف القلم" بزيادة كلمة "تحريف"، و"المناقشة" بدل "المنافسة".

(240) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص142)، ومناظرات في الأدب، ص: 16، وقد سقطت كلمة "الدهن".

(241) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص142)، ومناظرات في الأدب، ص: 16، ولم يرد قوله: "أما نحن".

(242) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص143)، ومناظرات في الأدب، ص: 17، وقد ورد الفعل "أيقظ" بدل "أمضى"، ووردت "الآجال والآمال" بهذا الترتيب.

حسن التعامل بينهما: "وعلى ذلك فما ينبغي لنا بتلك الأنامل غير سلوك الأدب، والمعاضدة في ذلك الأفق على الأزمات والنوب، والاستقامة على الحق ولا عوج، والحديث من تلك الراحة عن البحر ولا حرج، هذه نصيحتي إليك والدين النصيحة، والله تعالى يطلعك على معاني الرشد الصريحة، ويجعل بينك وبين العيّ حجابا مستورا، وحسبك ما تقدم من القول وكان ذلك في الكتاب مسطورا[243]"، وهو في نصائحه يدعم حججه بالسّجع، متكئا على حجّة الشّاهد القرآني، والحديثي معا، حتّى لا يدع مجالا لغواية السيف، وعدم قبوله النصيحة والعظة، وقد جاءت النتيجة إيجابية إذْ قَبِل السّيف الصلح الذي دعا إليه القلم، وأثنى على مبادرته نحو الطّريق السّليم بعدما كان الشّيطان غاويا مضلا لهما: "أيها الضّعيف الجبّار، والضرير الطّرار، والبازغ في ليل المداد نجما وكم في النّجوم غرار، لقد تظلّمت عن أمرٍ وأنت البادئ بظلمه، وتضرّرت من فتح أمر أنت السّابق إلى فكّ ختمه...وقد فهمت ما ذكرت من أمر اليد المخدوميّة الناصرية ونعم ما ذكرت وأحسن بما أشرت، وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره وصفحت عن قولك الأخشن، ورددتك من الدواة إلى أمّك كي تقرّ عينها ولا تحزن، وسألت الله أن يزيد محاسن تلك اليد الغالية تماما على الذي هي أحسن، فإنها اليد التي:

(الكامل)

لَـــو أثَّـــرَ التَّقبيـــلُ في يـــدِ مـــنعمٍ لَمحَـــا بَـــراجمَ كفِّهـــا التقبيـــلُ

والرّاحة التي:

(الكامل)

يَســـعَى الطُّلـــوبُ لِغوثِهـــا وَلغيثِهـــا فَيُجيبـــهُ التّـــأمينُ والتأميـــلُ[244]"

---

(243) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص144)، ومناظرات في الأدب، ص: 17، مع مجيء: "بين تلك" بدل: "بتلك"، وكذلك: "المعاضدة على محو الأزمات"، و"ينسيك ما تقدّم من القول" بهذين التركيبين.

(244) مجلة المورد العراقية، (مج 12، ع4، ص145)، ومناظرات في الأدب، ص: 18، وقد جاءت عدة اختلافات، هي: "الضيف" بدل "الضعيف"، وسقطت "والضرير الطرار"، وتظلمت من" بدل: " تظلمت عن"، "وتسورت إلى فتح الباب" بدل: "وتضررت من فتح أمر"، و "فتح" بدل: "فكّ"، و "فهمت الآن"

وفي قبول السّيف للصّلح، وختام المناظرة فإنّه يدعم مسلكه بحججٍ عدّة متّكئا على حجاجيّة الشّاهد من القرآن الكريم، والشّعر العربي، حتّى يكون الختام ذا حجّة لا تقبل النّقاش، نظرا إلى ما للشّاهد القرآني من قداسة لا تقبل الشكّ والجدل، ولما للشّعر من مكانة عليا، إذْ هو ديوان العرب، والأنموذج الذي يُسْتشهَد به كثيراً في الخطاب، ولم نجد شخصية الحكم بارزة في المناظرة، ليدلي بحكمه النّهائي في هذه الخصومة، ولكنّ ابن نباتة يشير إلى أنّه قضى وحكم بين الطّرفين بصورة غير مباشرة، وأنّهما ركنان أساسيان في بناء الدّولة.

خاتمة البحث

هدفت الدّراسة إلى الكشف عن الإستراتيجيات الحجاجيّة في المناظرات الأدبية من خلال المناظرة المتخيّلة التي دارت بين القلم والسّيف على لسان ابن نباتة المصري، وقد خلصتُ إلى نتائج منها:

1- تعدُّ نظريّة الحجاج من النّظريات التي تطوّرت عبر العصور، من حيث مفهومُها ومدى إسهام العرب والغربيين فيها.

2- ترتبط المناظرة بالنظريّة الحجاجيّة ارتباطًا شديدا، فهي قائمة على الحوار والمحاجّة بين طرفين.كلّ طرف منهما يدلي بحججه وبراهينه لتأييد رأيه في القضيّة المختلف حولها.

3- جاءت حجاجيّة المناظرة من خلال عنوانها، ومضمونها، وخاتمتها، وفق نظام تسلسلي يؤدِّي إلى نهاية الحقّ وظهوره للطّرفين، وقبولهما له.

4- تتنوّع الإستراتيجيات الحجاجيّة في المناظرة، فمنها ما يتّصل بالمضمون، وآخر بالشّكل، وكلاهما مكمّل للآخر، مؤدٍ إلى تدعيم الحجّة والرأي والإقناع.

بدل "وقد فهمت"، و"اليد الشريفة" بدل "المخدومية الناصرية"، و "الأحسن" بدل "الأخشن"، و "إلى أمك الدواة" بدل "من الدواة إلى أمك"، و"العالية" بدل "الغالية"، وسقطت كلمة "هي" في قوله: "هي أحسن"، و"تسعى القلوب" بدل: "يسعى الطلوب".

5- تعدُّ المناظرة بين السّيف والقلم من المناظرات الأدبيّة المتخيّلة التي دارت على لسان ابن نباتة المصري.

6- استطاع ابن نباتة أن يأتي بمناظرة متّزنة فيها أركان المناظرة وآدابها، من خلال حوار بين طرفين، تجلّت روح المنافسة بينهما. فقد أعطى القلم ثلاث فرص لإثبات مكانته، وقد قدّمها في مئة وثلاثة وعشرين سطرا (123س)، ومثلها للسّيف، أوردها في مئة وثمانية وعشرين سطرا (128س)، وكانت بداية الحوار للقلم، والختام للسّيف، وقد انتهى المطاف بهما إلى الصّلح فالتّراضي، وإثبات مكانة كلٍّ منهما، وحاجة السلطة إليهما معاً.

كما توصي الدراسة بما يلي:

1- توسعة دائرة البحث في الحجاج ليشمل فنون النّثر الأدبي بجميع أنواعه من خطابة، ومقالة، ورسالة وغيرها في جميع العصور الأدبيّة، وقد أوصى بذلك روّاد الحجاج من قبل.

2- دراسة الحجاج في الشّعر العربي بوجه عام، وكل عصر على حدة، وكل شاعر بمفرده، وكذلك في الأغراض الشّعرية حسب حجم الدراسة التي سيقوم بها باحثها.

والحمد الله الذي بنعمته تتمّ الصّالحات.

ثبت مصادر البحث ومراجعه

أولاً: المصادر

[1] القرآن الكريم.

[2] مجلة المورد، وزارة الثقافة والإعلام، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، بغداد، الجمهورية العراقية، المجلد الثاني عشر، العدد الرابع، 1404هـ، 1983م.

[3] مناظرات في الأدب، عزّت العطّار، سكريتيريّة لجنة الشّبيبة السّوريّة بالقاهرة، مصر، د.ت.

ثانياً: المراجع

[4] آداب البحث والمناظرة، محمد الأمين الشنقيطي، تحقيق: سعود عبدالعزيز العريفي، دار عالم الفوائد، الطبعة الأولى، مكة المكرمة، 1426هـ.
[5] الأدب والغرابة، دراسات بنيوية في الأدب العربي، عبدالفتاح كيليطو، دار توبقال للنشر، الطبعة الثانية عشرة، الدار البيضاء، 2015م.
[6] إستراتيجيات الحجاج في التراث العربي، د. ليلى جغام، دار النابغة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الإسكندرية، 1436هـ، 2015م.
[7] إستراتيجيات الخطاب: مقاربة تداولية لغوية، د. عبدالهادي بن ظافر الشهري، دار كنوز المعرفة، الطبعة الثانية، عمّان، 1436هـ، 2015م.
[8] أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي: تنظير وتطبيق على السور المكية، د. مثنى كاظم صادق، كلمة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، تونس، 1436هـ، 2015م.
[9] آليات الحجاج القرآني: دراسة في نصوص الترغيب والترهيب، د. عبدالجليل العشراوي، عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى، إربد، الأردن، 2016م.
[10] أنوار الربيع في أنواع البديع، ابن معصوم المدني، تحقيق: شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان، 1389هـ، 1969م.
[11] البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1428هـ، 2007م.
[12] البرهان في وجوه البيان، ابن وهب، تحقيق: د. أحمد مطلوب، ود. خديجة الحديثي، طباعة ونشر جامعة بغداد، الطبعة الأولى، 1387هـ، 1967م.
[13] بلاغة الإقناع في المناظرة، د. عبداللطيف عادل، منشورات ضفاف، بيروت، لبنان، منشورات الاختلاف، الطبعة الأولى، الجزائر، 1434هـ، 2013م.

[14]البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، الطبعة الخامسة، القاهرة، 1405هـ، 1985م.
[15]تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين، إحسان عباس، دار الثقافة، الطبعة السادسة، بيروت، 1981م.
[16]التحليل الحجاجي للخطاب(بحوث محكمة)، مجموعة باحثين، إشراف وتقديم: د. أحمد قادم، د. سعيد العوادي، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمان، الأردن، 1437هـ، 2016م.
[17]تداوليات الخطاب السياسي، أ.نور الدين اجعيط، عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى، إربد، الأردن، 2012م.
[18]التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صابر الحباشة، أنوار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2010م.
[19]التعريفات، الجرجاني، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية، 1413هـ، 1992م.
[20]حجاج التمثيل في الآداب السلطانية، مقاربة تداولية لكتاب "كلية ودمنة" لابن المقفع، د.هاجر مدقن، دار النابغة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الإسكندرية، 1435هـ، 2014م.
[21]الحجاج بين المنوال والمثال: نظرات في أدب الجاحظ وتفسيرات الطبري، د. علي الشبعان، مسكيلياني للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، تونس، 2008م.
[22]الحجاج عند الطفيليين، د. أحمد علواني، دار التنوير للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر، 2015م.
[23]الحجاج في الخطاب السياسي المعاصر، د. زكرياء السرتي، عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى، إربد، الأردن، 2014م.
[24]الحجاج في الخطاب السياسي: الرسائل السياسية الأندلسية خلال القرن الهجري الخامس أنموذجا (دراسة تحليلية)، د. عبدالعالي قادا، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمان، الأردن، 1436هـ، 2015م.
[25]الحجاج في الخطابة النبوية، عبدالجليل العشراوي، عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى، إربد، الأردن، 2012م.

[26]الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبدالله صولة، دار الفارابي، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، 2007م.
[27]الحجاج في بنية كتاب "طوق الحمامة في الألفة والألاف" لابن حزم، سراب الرحموني، دار سحر للنشر، أكتوبر 2013م.
[28]الحجاج مفهومه ومجالاته، مجموعة من المؤلفين، تحرير وإشراف: د. حافظ إسماعيلي علوي، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، دار الروافد الثقافية- ناشرون، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 2013م.
[29]الحجاج والتفكير النقدي، د. عليوي أباسيدي، دار نشر المعرفة، الرباط، المغرب، 2014م.
[30]الحجاج: رؤى نظرية ودراسات تطبيقية، إشراف وتحرير حسن خميس الملخ، عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى، إربد، الأردن، 2015م.
[31]الحجاج، كريستيان بلانتان، ترجمة عبدالقادر المهيري، منشورات دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2008م.
[32]حجاجية الأسلوب في الخطابة السياسية لدى الإمام علي رضي الله عنه،
د. الزماني كمال، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، إربد، الأردن، 2016م.
[33]حجاجية الخطاب في إبداعات التوحيدي، د. أميمة صبحي، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمان، الأردن، 1436هـ، 2015م.
[34]الحيوان، الجاحظ، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
[35]خطاب الحجاج والتداولية دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي، د. عباس حشاني، عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى، إربد، الأردن، 2014م.
[36]خطاب المناظرة في الأدب الأندلسي من القرن الرابع إلى نهاية القرن الثامن الهجري، د. محمد أبحير، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمان، الأردن، 1436هـ، 2015م.

[37]الخطاب والحجاج، د.أبو بكر العزاوي، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 2010م.
[38]دراسات في الحجاج (قراءة لنصوص مختارة من الأدب العربي القديم)،
د. سامية الدريدي الحسني، عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى، إربد، 1430هـ، 2009م.
[39]دراسات معاصرة في اللغة والأدب والتواصل، مجموعة من الباحثين، تقديم: أ.د. محمد القاسمي، منشورات مختبر التواصل وتقنيات التعبير، جامعة سيدي محمد بن عبدالله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سايس- فاس، عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى، إربد، الأردن، 2016م.
[40]صبح الأعشى في صناعة الإنشا، أحمد القلقشندي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1405هـ، 1985م.
[41]الطراز، يحيى بن حمزة العلوي، مكتبة المعارف، الرياض، د.ت.
[42]العصر العباسي الثاني، د. شوقي ضيف، دار المعارف، الطبعة السابعة، القاهرة، د.ت.
[43]عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج،
د. عبدالسلام عشير، أفريقيا الشرق، الطبعة الثانية، الدار البيضاء، المغرب، 2012م.
[44]فن المناظرة رؤية إسلامية، أ.د. محمد حسن مهدي بخيت، عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى، إربد، الأردن، 2014م.
[45]فن المناظرة في الأدب العربي: دراسة أسلوبية تداولية، باشا العيادي، دار كنوز المعرفة، الطبعة الأولى، عمان، الأردن، 1435هـ، 2014م.
[46]في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبدالرحمن، المركز الثقافي العربي، الطبعة الخامسة، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، 2014م.

[47]في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، الخطابة في القرن الأول نموذجاً، د. محمد العمري، أفريقيا الشرق، الطبعة الثانية، المغرب، 2002م.
[48]في نظرية الحجاج: دراسات وتطبيقات، أ.د. عبدالله صولة، مسكيلياني للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، تونس، 2011م.
[49]القاموس المحيط، الفيروزآبادي، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1407هـ- 1987م.
[50]كتاب الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي، صححه وضبطه وشرح غريبه أحمد أمين، وأحمد الزين، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، صيدا، د.ت.
[51]كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1406هـ، 1986م.
[52]كتاب المنهاج في ترتيب الحجاج، أبو الوليد الباجي، تحقيق عبدالمجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، 1987م.
[53]كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج- رسائله نموذجا، علي محمد علي سلمان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، مملكة البحرين، 2010م.
[54]كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، دار الفكر، 1402هـ، 1982م.
[55]لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، الطبعة الثالثة، بيروت، لبنان، 1414هـ، 1994م.
[56]اللغة والحجاج، د. أبو بكر العزاوي، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 2009م.
[57]المثل السائر، ضياء الدين بن الأثير، تحقيق: د. أحمد الحوفي، د. بدوي طبانة، دار الرفاعي، الرياض، 1403هـ، 1983م.
[58]المظاهر اللغوية للحجاج: مدخل إلى الحجاجيات اللسانية، رشيد الراضي، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، المغرب، 2014م.

[59]مفتاح السعادة ومصباح السيادة، طاش كبرى زاده، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.
[60]مفتاح العلوم، السكاكي، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، 1403هـ، 1983م.
[61]من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، د. جميل حمداوي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2014م.
[62]من المنطق إلى الحجاج، د. أبو بكر العزاوي، عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى، إربد، الأردن، 2016م.
[63]المناظرات الخيالية في أدب المشرق والمغرب والأندلس، د. رغداء ماريديني، دار الفكر، الطبعة الأولى، دمشق، 1429هـ، 2008م.
[64]مناهج الدراسات الأدبية الحديثة من التاريخ إلى الحجاج، د. حسن مسكين، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 2010م.
[65]موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي محمد علي، أشرف على الترجمة رفيق العجم وآخرون، مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة الأولى، بيروت، 1996م.
[66]نظرية الحجاج: تطبيق على نثر ابن زيدون، عزيز لدية، عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى، إربد، الأردن، 2015م.
[67]الهرمينوطيقا والحجاج، عمارة الناصر، منشورات ضفاف، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، الطبعة الأولى، 1435هـ، 2014م.
[68]الوظائف التداولية للتخاطب السياسي وأبعادها الحجاجية، د. نور الدين أجعيط، عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى، إربد، الأردن، 2016م.

ثالثا: الدوريات والمجلات

[69]كتاب: الدورة التكوينية الثانية في موضوع: بلاغة الحجاج وتحليل الخطاب، جامعة القاضي عياض، كلية اللغة العربية، مراكش، ربيع الثاني، 1437هـ، يناير، 2016م.

رابعاً: الرسائل العلمية

[70]حجاجية الحكمة في الشعر الجزائري الحديث، (رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في اللسانيات التداولية)، بوخشة خديجة، إشراف أ.د.بن عيسى عبدالحليم، السنة الجامعية1435-1436هـ/2013-2014م، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة وهران، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها.

Literary Debates: A Pragmatic Study of the Argumentation Strategies of the Fictional Debate between the "Sword and the Pen", by the Ancient Egyptian Scholar Ibn Nabata

Dr. Abdulrahman Ahmed al-sabt
Associate Professor,
Department of Arabic, College of Education, Majmaah University

Abstract. Argumentation (polemics) is currently among the top issues in the study of pragmatics. The origin of the study of argumentation can be traced back to ancient Western and Arabic literary and rhetorical studies.

This study falls into two major parts: a theoretical part tackling the theory of argumentation, and a practical one that attempts to apply the principles of argumentation in the analysis of a particular text: The Debate between The Sword and the Pen, by Mohammed ibn Nabata (686-768 h.).

The study explores the development of the art of argumentation in both Arabic-Islamic and Western literature, citing the main scholars who contributed significantly to this line of research. In addition, the study casts light on the theory of argumentation/polemics tackling its key concepts, conditions, types, principles along with its pragmatic nature.

Drawing on all this, the study then analyses the text of the Debate between Sword and the Pen, by Mohammed ibn Nabata (686-768 h.) After dealing with the title and showing its intra-textual significance in the debate, it identifies the strategies of argumentation employed by the writer of the debate. These fall into two main types: First, a set of strategies that largely draw on the "content/meaning" of the argument, such as the use of religious evidence (Quran, Prophetic tradition) alongside utilising certain literary devices (sayings and values). Second, a group of strategies that deal primarily with the "form" of the argument. The latter group comprises strategies of various sorts: Rhetorical strategies that focus on devices such as imagery, synonyms and antonyms. Another set of strategies (among the latter type) include stylistic strategies such as repetition, the art of questioning, verbal exclamatory style, negation, pronouns, vocative case, emphasis, grammatical specifying/exemption, the use of promising and assertory oaths particles, alliteration, rhyming, assonance, dialogue, confirmation, linking, together with the structure of contradiction, juxtaposition, paradox, and irony. Finally, the study concludes with an overall assessment of the debate and provides a conclusion to the analysis of the text of the debate between the Sword and the Pen.